

مقاصد الاعتراض البياني في سورة الأنعام عند ابن عاشور

«جمع ودراسة»

إيمان بنت عبد الله العمودي*

جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية

(قدم للنشر في 29/02/1441هـ؛ وقبل للنشر في 24/03/1441هـ)

المستخلص: هذا البحث بعنوان: مقاصد الاعتراض البياني في سورة الأنعام عند ابن عاشور «جمع ودراسة» حيث تميزت سورة الأنعام بكثرة الجمل الاعتراضية في ثناياها، ما بين الاعتراض النحوي والاعتراض البياني، فاخترت تسليط الضوء على الاعتراض البياني في سورة الأنعام وكيف عالجه ابن عاشور من خلال المقاصد التي دل عليها هذا الاعتراض. ويهدف البحث إلى: استقراء الآيات المعارضة اعتراضاً بيانياً في سورة الأنعام كما أشار إليه ابن عاشور، واستنباط المقاصد التي دل عليها الاعتراض البياني في كل موضع، ودراسة هذه المواضع دراسة تفسيرية ثم دراسة بيانية من خلال التفاسير، ثم الخلوص إلى النتيجة التي انتهت إليها هذه الدراسة. كما اتبعت المنهج الاستقرائي الموضوعي لتحقيق الأهداف آنفة الذكر، وتوصلت إلى عدة نتائج من أهمها: أن من أكثر مواضع ورود الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم هو في سورة الأنعام، ومن أكثر المفسرين إبرازاً لمقاصد ورودها هو الطاهر ابن عاشور رحمه الله، وقد أسفر البحث عن ماهية الاعتراض عند النحاة، وماهيته عند البلاغيين، والفروق بينهما، ومن مقاصد الاعتراض البياني في سورة الأنعام: الإعلام، والترغيب، والترهيب، والامتنان، والتعجب، والتعليل، والتذليل، والتقريب، وغيرها. كما أوصيت من خلال البحث بعدة توصيات منها: تعقب مقاصد الاعتراض في سور القرآن الكريم، والوقوف على هذه المقاصد، وأثرها في التفسير، وذلك في ظل الدراسات الأسلوبية القرآنية خاصة التفسيرية منها، وتكثيف الدراسات والمشاريع البحثية في سبر أغوار تفاسير المفسرين البلاغيين، واستخراج مكنونها، من درر أساليب القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: مقاصد، الاعتراض، البياني، الأنعام، ابن عاشور.

The purposes of the rhetorical objection in Surat Al-An'am by Ibn Ashour: «Collection and Examination»

Iman bint Abdullah Al-Amoudi*

Imam Muhammad bin Saud Islamic University

(Received 28/10/2019; accepted for publication 21/11/2019.)

Abstract: This research is entitled: Purposes of the rhetorical objection in Surat Al-An'am for Ibn Ashour «collection and examination», where Surat Al-An'am (The cattle) was marked by the many parenthesis within, between the grammatical and rhetorical objection, so I chose to shed light on the rhetorical objection in Surat Al-An'am and how Ibn Ashour addressed it through the purposes indicated by this objection. This research aims to: Extrapolating the rhetorical objected verses in Surat Al-An'am as indicated by Ibn Ashour, deducing the purposes indicated by the rhetorical objection in each place, applying an interpretive and demonstrative study on these positions through interpretations, and finally, reaching the conclusion of this study. I also followed the objective-inductive approach to achieve the aforementioned objectives, until I reached several results: one of the most prominent positions of the rhetorical objection in the Holy Qur'an is in Surat Al-An'aam, and Al-Taher Ibn Ashour, may Allah have mercy on him, is among the most interpreters who highlighted its purposes. The search has resulted in what is meant by objection among grammarians and rhetoricians, showing the differences between them. The purposes of the rhetorical objection in Surat Al-An'am are as follows: informing, invitation and intimidation, gratitude, exclamation, rationale, annotation, affirmation, and others. I also recommended, through research, several recommendations, including: tracking the purposes of objection in the chapters of the Holy Qur'an, and determining these purposes, and their effect on interpretation, in light of the Qur'anic stylistic studies, especially interpretative ones, intensifying studies and research projects to explore the depths of rhetorical interpretations, and extracting their content, from the pearls of the rhetorical styles of the Holy Qur'an.

Key words: Purposes, objection, rhetorical, Al-An'am, Ibn Ashour.

(* Assistant Professor, Department of Quran and Its Sciences,
College of Fundamentals of Religion, Imam Muhammad bin
Saud Islamic University.

(*) الأستاذ المساعد، بقسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية.

البريد الإلكتروني: e-mail: dr.eman.alamoudi@gmail.com

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا
نبي بعده، وآله وصحبه، وبعد
فإنه لطالما كانت بلاغة القرآن بحراً زاخراً بلآلى
البيان، يغترف منها المغترفون ولا تنضب، وتمخر عبابه
سفن الدارسين ولا تبلغ منتهاه، فسبحان من أنزله يتلى
على مر السنين ولا يزال غصاً طرياً وكأنها اليوم أنزل.
فليس عبثاً أن تأتي الجملة في لغة العرب على
أشكال مختلفة، وضروب متنوعة، فهناك الجملة
الاسمية، والجملة الخبرية، والجملة الطلبية، والجملة
الاستئنافية، وغير ذلك، ولكل جملة من هذه الجمل
هدف وغاية، مما يعني توسعاً في الأساليب، ودقة في
الأداء والتعبير، فكيف إذا كان الميدان هو لغة القرآن
وسياقاتها؟

وباستقراء جميع سور القرآن الكريم من خلال
تفسير التحرير والتنوير⁽¹⁾، نجد أن أكثر سورة في القرآن
الكريم وردت فيها الجمل الاعتراضية هي سورة الأنعام
ونلاحظ كيف امتزجت بآياتها الجمل الاعتراضية البيانية،
والتي انجلت دلالاتها عن أغراض ومقاصد كبيرة، فلم
تكن حشواً ولا مجرد تحسين للكلام.

(1) باعتبار اهتمامه العميق والمفصل بالبلاغة القرآنية، بحيث لا
يكاد يجاريه في ذلك أحد بعده.

وكذلك باستقراء التفاسير التي تعرضت لذكر
وجود الجمل الاعتراضية في سورة الأنعام، نجد أن من
أبرز المفسرين الذين اعتنوا بإبراز مقاصد وأغراض
الجمل الاعتراضية فيها هو الطاهر ابن عاشور⁽²⁾،
فأحببت أن أجمع بين الميزتين: كثرة ورود الاعتراض في
سورة الأنعام، ومعالجة ابن عاشور له بتجلية أغراضه،
فاستخرت أمري ثم عزمت على الكتابة في هذا البحث
بعنوان: مقاصد الاعتراض البياني في سورة الأنعام عند
ابن عاشور «جمع ودراسة».

فأسأله سبحانه التوفيق والسداد، والإخلاص في
القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه سبحانه.
أهمية البحث، وسبب اختياره:

يقتبس البحث أهميته من أهمية موضوعه في سورة
الأنعام، وتكاثره فيها، وكذلك من مهارة ابن عاشور في

(2) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ
جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عين
(عام 1932م) شيخاً للإسلام مالكيًا، وهو من أعضاء
المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة،
من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية)، و(أصول النظام
الاجتماعي في الإسلام)، و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن،
صدر منه عشرة أجزاء، و(الوقف وآثاره في الإسلام)،
و(أصول الإنشاء والخطابة)، و(موجز البلاغة) ومما عني
بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء، وكتب كثيرا
في المجالات، توفي سنة 1393 هـ. انظر: الأعلام، للزركلي
(173 / 6 - 174).

بيان أغراض الاعتراض في القرآن عامة، وهذه السورة خاصة، ويتنوع هذا الاعتراض بين الاعتراض النحوي والاعتراض البياني، فاخترت تسليط الضوء على الاعتراض البياني في سورة الأنعام وكيف عالجها ابن عاشور من خلال المقاصد التي دل عليها هذا الاعتراض.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات التي تعنى بالاعتراض في القرآن، وكذلك الاعتراض عند ابن عاشور، إلا أن كل دراسة تعنى بجانب معين، وفيما يلي أورد هذه الدراسات حسب اطلاعي والفروق بينها:

1- أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم من خلال الكشف.

للباحث: رابع العربي، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة الجزائر عام 1423هـ، وهي دراسة نحوية بلاغية ومن خلال الكشف فقط كما هو في عنوانها، أما الدراسة التي بين أيدينا فمن خلال التحرير والتنوير، وهي دراسة دلالية في أغراض الاعتراض.

2- الاعتراض في القرآن الكريم، دلالاته ومواقعه في التفسير.

للباحث: عبد الله مباركي، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في جامعة أم القرى، عام 1428هـ، وقد درس الناحية النظرية ثم التطبيقية على بعض مواضع

الاعتراض حسب ترتيب السور في المصحف. وبالرجوع إلى الدراسة أعلاه، والنظر في الدراسة التي بين يدي، وجدت أنه لم يتعرض لمواضع الاعتراض البياني التي نص عليها ابن عاشور في سورة الأنعام إلا لثلاثة مواضع فقط، فتزيد عليها هذه الدراسة بقية المواضع وكذلك التفصيل في أغراض الاعتراض البياني في السورة كما نص عليها ابن عاشور.

3- الجملة المعترضة في القرآن وأغراضها البلاغية.

للباحث سامي عطا حسن، وهي دراسة نظرية وتطبيقية حسب مواضع الجملة المعترضة في المصحف على ترتيب السور، ولكنها دراسة بلاغية بحتة، تختلف عن التي بين أيدينا.

4- دلالة الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم. للباحث أحمد مرغم، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة من جامعة سطيف بالجزائر، عام 2013م، وكان العمل في البحث معنياً بربط الاعتراض بدلالاته في أثناء الكلام، وعلاقته بسابقه ولاحقه بصورة خاصة، والوقوف على ذكرها وحذفها وأثره على اختلال المعنى من عدمه، فاختلف محور الدراسة عن الدراسة التي بين أيدينا.

منهج البحث:

سرت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي

الموضوعي على النحو التالي:

- المقدمة: وفيها أهمية البحث وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وحدوده، وخطته.
- التمهيد، وفيه: بين يدي سورة الأنعام.
- المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث، وتحتة ثلاثة مطالب:
 - المطلب الأول: الاعتراض في اللغة.
 - المطلب الثاني: الاعتراض في اصطلاح النحاة، واصطلاح البلاغيين.
 - المطلب الثالث: الفرق بين الاعتراض النحوي والاعتراض البلاغي.
- المبحث الثاني: مقاصد الاعتراض في سورة الأنعام، وتحتة عشرة مطالب:
 - المطلب الأول: الإعلام.
 - المطلب الثاني: الترغيب.
 - المطلب الثالث: التذليل.
 - المطلب الرابع: الامتنان.
 - المطلب الخامس: الترهيب.
 - المطلب السادس: التعجيب.
 - المطلب السابع: التقرير.
 - المطلب الثامن: تسلية النبي ﷺ.
 - المطلب التاسع: التعريض.
 - المطلب العاشر: التعليل.

- 1- جمع الآيات التي نص ابن عاشور على وجود جمل اعتراضية اعتراضاً بيانياً في سورة الأنعام فقط.
 - 2- استنباط المقاصد التي دل عليها الاعتراض البياني في السورة من خلال كلام ابن عاشور.
 - 3- دراسة مواضع الاعتراض من الناحية التفسيرية، ثم من الناحية البيانية، والخلوص إلى ما انتهت إليه دراسة الاعتراض البياني في ذلك الموضع.
 - 4- عزو الآيات إلى سورها وأرقامها.
 - 5- تخريج الأحاديث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا خرجته من مظانه، وذكرت كلام أهل العلم في حكمهم عليه.
 - 6- عزو الأقوال إلى قائلها بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة.
 - 7- الترجمة للأعلام غير المشهورين في صلب البحث عند أول ورود لهم.
- حدود البحث:
- سورة الأنعام، من خلال تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، والآيات التي تحوي اعتراضاً بلاغياً.
- خطة البحث:
- انتظم عقد هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس على النحو التالي:

- الخاتمة، وفيها: أهم النتائج، والتوصيات.
 - فهرس المصادر والمراجع.
- سورة الأنعام مكية وآياتها خمس وستون ومائة⁽⁵⁾.
- وحكى القرطبي⁽⁶⁾ قول من قال أنها مكية كلها
- عدا آيتين منها، وقيل هي مكية كلها عدا ست آيات
- منها⁽⁷⁾.

=من مصنفاته: تهذيب الآثار، وتاريخ الأمم، أحكام شرائع الإسلام، وجامع البيان في تأويل آي القرآن، توفي سنة 310هـ. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي (95).

(5) جامع البيان، للطبري (9/144)، وانظر: معالم التنزيل (3/213).

(6) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي فيها، من كتبه: (الجامع لأحكام القرآن)، و(الأسنى في شرح أساء الله الحسنى)، و(قمع الحرص بالزهد والقناعة)، توفي سنة 671هـ. انظر: شذرات الذهب (5/335)، والأعلام، للزركلي (5/322).

(7) قال القرطبي: «سورة الأنعام وهي مكية في قول الأكثرين قال ابن عباس وقتادة: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلنا بالمدينة، قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام: 91)، نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الأشرف اليهوديين والأخرى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَذْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ (الأنعام: 141)، نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري. وقال ابن جريج: نزلت في معاذ بن جبل وقاله الماوردي. وقال الثعلبي سورة «الأنعام» مكية إلا ست آيات نزلت بالمدينة ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام: 91)، إلى آخر ثلاث آيات، و﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ (الأنعام: 151)، إلى آخر ثلاث آيات». الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (6/382).

وأسال الله تعالى التوفيق والسداد، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وحسبي أني تحريت الصواب، ولم أجعل الخطأ قصدي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً مزيداً إلى يوم الدين.

التمهيد: بين يدي سورة الأنعام

تسميتها:

«سميت سورة الأنعام لما تكرر فيها من ذكر لفظ الأنعام ست مرات من قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ إلى قوله: ﴿إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ يَهْدِي﴾ (الأنعام: 136-144)⁽³⁾.

نوعها، وعدد آياتها:

«ذهب الجمهور إلى أنها مكية، قال الطبري⁽⁴⁾:

(3) التحرير والتنوير (7/121).

(4) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً باللسن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم،=

نزولها وفضلها:

نزلت سورة الأنعام جملة واحدة لاشتغالها على أصول الاعتقاد، ومحاجة المشركين.

قال القرطبي في حكمة إنزالها جملة واحدة: «قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجة، وإن تصرف ذلك بوجوه كثيرة»⁽⁸⁾.

وفي فضلها ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه: «نزلت سورة الأنعام جملة بمكة ليلاً وحوّلها سبعون ألف ملك يجرون حولها بالتسييح»⁽⁹⁾.

مناسبتها لما قبلها:

«تضمنت كل من سورتي المائدة والأنعام محاجة أهل الكتاب في موافقهم وعقائدهم، كما ذكر فيهما أحكام المطعومات المحرمة والذبائح، والرد على أهل الجاهلية بتحريم بعض الأنعام تقرباً إلى الأوثان»⁽¹¹⁾.
موضوعاتها⁽¹²⁾:

هذه السورة شأنها كشأن السور المكية عنيت بأصول العقيدة والإيمان: وهي إثبات الألوهية، والوحي والرسالة، والبعث والجزاء.

ومجمل ما اشتملت عليه هذه السورة هو ما يأتي:
1- إثبات أصول الاعتقاد عن طريق الإقناع والتأثير والمناظرة والجدل.

2- إثبات النبوة والرسالة والوحي والرد على شبهات المشركين.

3- إثبات البعث والحساب والجزاء على الأعمال يوم القيامة.

4- تبيان أصول الأخلاق والآداب الاجتماعية أو الوصايا العشر التي اشتهرت بها سورة الأنعام.

(8) الجامع لأحكام القرآن (6/382).

(9) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلزم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي الجمل وصفين، له في الصحيحين وغيرهما 1660 حديثاً، قال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعوا لذلك أحداً سواه، توفي (68هـ) ﷺ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (4/141)، وطبقات المفسرين، للأذنه وي (1/3).

(10) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (12/215 ح/12930)، وقال ابن حجر: «هذا حديث حسن». نتائج الأفكار (227/3).

(11) التفسير المنير (7/126).

(12) انظر: المصدر السابق.

المبحث الأول

التعريف بمفردات عنوان البحث

وتحتة ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاعتراض في اللغة.

قال ابن فارس⁽¹³⁾: «عَرَضَ العَيْن والرَّاء

والضاد بناءً تكثر فروعها، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد، وهو العرض الذي يخالف الطول»⁽¹⁴⁾.

وقال الأزهري⁽¹⁵⁾: «وقال ابن دريد⁽¹⁶⁾: يقال

(13) العلامة، اللغوي، المحدث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، مولده بقزوين، ومرباه بهمدان، وأكثر الإقامة بالري، وكان رأساً في الأدب، بصيراً بفقهاء مالِك، مناظراً متكلماً، ومذهباً في النحو على طريقة الكوفيين، جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر، له مصنفات ورسائل، جامع التأويل في تفسير القرآن أربع مجلدات، كتاب سيرة النبي ﷺ، كتاب أخلاق النبي ﷺ، كتاب المجمل في اللغة، ومقاييس اللغة، وغيرها، ومات بالري في صفر سنة 395 هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (103/17)، وطبقات المفسرين، للسيوطي (26).

(14) مقاييس اللغة (4/269).

(15) هو: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، الهروي اللغوي الشافعي، ارتحل في طلب العلم وكان رأساً في اللغة والفقه، ثقة، ثبتاً، ديناً، وله كتاب (تهذيب اللغة) المشهور، وكتاب (التفسير)، وكتاب (تفسير ألفاظ المزني)، و(علل القراءات) وغيرها، توفي سنة 370 هـ، انظر: طبقات المفسرين، للأذنه وي (83/1).

(16) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي اللغوي البصري إمام عصره في اللغة والآداب والشعر الفائق؛ برع في =

جعلت فلانا عرضة لكذا وكذا، أي: نصبته له، قلت: وهذا قريب مما قاله النحويون؛ لأنه إذا نصب فقد صار معترضاً مانعاً... ومنه قيل لا تعرض لفلان، أي: لا تعرض له فتمنعه باعتراضك أن يقصد مراده ويذهب مذهبه»⁽¹⁷⁾.

وفي المعجم الوسيط: (اعترض) الشيء صار عارضاً كما تكون الخشبة في النهر أو الطريق»⁽¹⁸⁾.

والملاحظ من خلال هذه المعاني في اللغة أنها تدور حول المنع بين شيئين متلازمين، وكذلك التوسط بين طرفين.

المطلب الثاني: الاعتراض في اصطلاح النحاة، واصطلاح البلاغيين.

أولاً: الاعتراض في اصطلاح النحاة:

قال ابن فارس: «باب الاعتراض: ومن سُنن العرب أن يعترض بين الكلام وتاممه كلاماً، ولا يكون

=الشعر، وانتهى في اللغة، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها، له من التصانيف المشهورة كتاب (الجمهرة) وهو من الكتب المعتمدة في اللغة، وله كتاب (الاشتقاق)، وكتاب (السراج والجمام)، وكتاب (الخیل) الكبير، وكتاب (الخیل) الصغير، وكتاب (الأنواء)، وكتاب (المقتبس)، وكتاب (الملاحن)، وغيرها، وكانت وفاته سنة 321 للهجرة، انظر: وفيات الأعيان (4/323)، وتاريخ بغداد (2/594).

(17) تهذيب اللغة (288-289).

(18) المعجم الوسيط (2/594).

هذا المعترضُ إلا مُفيداً⁽¹⁹⁾.

وقال ابن جني⁽²⁰⁾: «باب في الاعتراض: اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد، فلذلك لا يشنع عليهم، ولا يستنكر عندهم أن يعترض به بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وغير ذلك مما لا يجوز الفصل «فيه» بغيره إلا شاذاً أو متأولاً»⁽²¹⁾.

وقال السيوطي⁽²²⁾: «والاعتراضية هي التي تفيد

تأكيداً وتسديداً للكلام الذي اعترضت بين أجزائه»⁽²³⁾.

وقال الزركشي⁽²⁴⁾ في الاعتراض: «وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه ولا يفوت بفواته فيكون فاصلاً بين الكلام والكلامين لنكتة، وقيل: هو إرادة وصف شيئين، الأول منهما قصداً والثاني بطريق الانجرار وله [تعليق]⁽²⁵⁾ بالأول بضرب من التأكيد، وعند النحاة جملة صغرى تتخلل جملة كبرى على جهة التأكيد»⁽²⁶⁾.

فالجملة المعترضة عند النحاة تتميز بخصائص

عدة⁽²⁷⁾، أهمها:

(19) الصاحبى في فقه اللغة (190).

(20) هو: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المشهور؛ كان إماماً في علم العربية، قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي وفارقه وقعد للإقراء بالموصل، فاجتاز بها شيخه أبو علي فراه في حلقته والناس حوله يشتغلون عليه، فقال له: «زبيت وأنت حصرم»، فترك حلقته وتبعه ولازمه حتى تمهر، من مصنفاته: (سرُّ الصَّنَاعَةِ)، و(اللُّمَعُ)، و(التَّصْرِيفُ)، و(التَّلَقُّينُ فِي النَّحْوِ)، و(التَّعَاقُبُ)، و(الْخَصَائِصُ) وغيرها، وكانت وفاته ببغداد سنة 392 للهجرة، انظر: وفيات الأعيان (3/284)، وسير أعلام النبلاء (17/17).

(21) الخصائص (336).

(22) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان الخضيرى السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ، مؤرخ، محدث، مفسر، أديب. نشأ في القاهرة يتيماً - مات والده وعمره خمس سنوات - وحفظ القرآن وله دون ثمان سنين، وشرع في الاشتغال بالعلم سنة 864 هـ، وأجيز بتدريس العربية بعد ستين، وبالتدريس والإفتاء سنة 876 هـ. وشرع في التصنيف في سنة 866 هـ. وسافر إلى الحجاز والشام واليمن والهند=

= والمغرب والتكرور. وحينما تقدم به العمر، اعتزل الناس، وخلا بنفسه في منزله، وكانت وفاته في منزله سنة 911 للهجرة، انظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر (1/264).

(23) همع الهوامع (2/327).

(24) هو: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، الشافعي، فقيه، أصولي، محدث، من تصانيفه الكثيرة: (الديباج في توضيح المنهاج، للنووي)، و(شرح جمع الجوامع، للسبكي)، و(قواعد تضبط للفقهاء أصول المذهب)، وغيرها، توفي بمصر في سنة 794 هـ. انظر: شذرات الذهب (6/335).

(25) هكذا وجدتها في أغلب طبعات الكتاب، والصواب: (تعلُّق) فهكذا وجدتها في طبعة مكتبة دار التراث، بتحقيق: محمد إبراهيم أبو الفضل، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون، وقد ذكر في الحاشية أنها في المطبوع: (تعليق) والصواب: (تعلُّق).

(26) البرهان في علوم القرآن (3/56).

(27) بتصرف من: الاعتراض في القرآن (59).

ومن، والباء)، ولا زوائد لفظية كـ: (إذن، وكان)⁽²⁹⁾.

ثانياً: الاعتراض في اصطلاح البلاغيين:

«اهتم البلاغيون بالاعتراض في كتبهم البلاغية اهتماماً بالغاً، كل حسب وجهته البلاغية لمفهوم الاعتراض، ولذلك فقد تعددت مصطلحاته ومفاهيمه عندهم، وتنوعت دلالاته التي سيق من أجلها، فمنهم من يسميه الاعتراض، ومنهم من يسميه الالتفات، وآخرون يسمونه الحشو، وغيرهم يسميه التتميم أو التذييل أو التكميل، إلى غير ذلك من المسميات، ولعل السبب في كثرة مصطلحات الاعتراض عندهم ومسمياته أن منهم من نظر إلى الاعتراض من الجانب اللغوي، وعلى طريقة النحاة، ومنهم من اهتم بالمعنى والغرض البلاغي الذي سيق من أجله الاعتراض فاهتم بالجانب الدلالي، وسماه حسب وظيفته الدلالية وبطريقة بلاغية صرفة»⁽³⁰⁾.

ومع وجود هذا التباين عند البلاغيين في تعريف الاعتراض، والذي تسبب في إدخال عدة فنون بلاغية فيه مع أنها ليست منه، إلا أنهم إجمالاً يتفقون على أن الاعتراض:

«هو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب

(29) وسموها زوائد كونها لا يتغير بها أصل المعنى بل لا يزيد بسببها

إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته.

(30) الاعتراض في القرآن (83).

1- لا تعد عند النحاة اعتراضية حتى يكون بين ما قبلها وما بعدها اتصال لفظي.

2- تحسين الكلام.

3- احتفاظها باستقلاليتها كجملة عن الكلام الذي وردت بين جزأيه.

4- لا تؤثر الجملة المعترضة بين المتصلات من عمل العامل بمعموله، وصح بذلك إسقاطها من الكلام دون أن يخل ذلك بأركان الجملة الأساسية.

5- اشترط بعض النحاة وجود الواو قبل الجملة الاعتراضية.

6- تعدد الجمل الاعتراضية بأكثر من جملة جائز عند أغلب النحاة.

7- جواز الاعتراض في الاعتراض، كقوله تعالى: ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعَلْمُونَ عَظِيمٌ ۝ ﴾ (الواقعة: 75-76)، ففيها اعتراضان: «فإنه اعترض بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ ۝ ﴾ بين: القسم وجوابه واعترض بقوله: ﴿ لَوَعَلْمُونَ ۝ ﴾ بين: الصفة والموصوف والمراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم وتأکید إجلاله في النفوس لا سيما بقوله: ﴿ لَوَعَلْمُونَ ۝ ﴾»⁽²⁸⁾.

8- الاعتراض عند النحاة تمثله الجملة، ولا اعتبار عندهم بما دونها من زوائد حرفية كـ: (أن، وأن،

(28) البرهان في علوم القرآن (3/ 58).

المعنى الأصلي معاني فرعية أخرى، تلتحم جميعاً في تكوين معنى كلي.

المبحث الثاني

مقاصد الاعتراض في سورة الأنعام

وتحتة عشرة مطالب:

المطلب الأول: الإعلام.

وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (الأنعام: 2).

أولاً: موضع الاعتراض ومقصده:

موضع الاعتراض: جملة: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ معترضة بين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾.

قال ابن عاشور: «وجملة: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ معترضة بين جملة: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾، وجملة: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾، وفائدة هذا الاعتراض: إعلام الخلق بأن الله عالم آجال الناس رداً على قول المشركين: ﴿وَمَا يُلْكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجن: 24)»⁽³⁴⁾.

ثانياً: دراسة موضع الاعتراض:

أ- الدراسة التفسيرية:

قال الرازي⁽³⁵⁾: «وأما الأجل فهو في اللغة عبارة

لنكتة»⁽³¹⁾، ولا يقتصر بالكلام على المسند والمسند إليه، بل يشمل المتعلقات والفضلات ولو بالعطف⁽³²⁾.

المطلب الثالث: الفرق بين الاعتراض النحوي والاعتراض البلاغي.

مما سبق نستخلص أن الفرق بين الاعتراض عند النحاة والاعتراض عند البلاغيين يكمن في نقاط عدة، من أبرزها:

- 1- الاعتراض عند النحاة ينحو منحى الإعراب، بينما هو عند البلاغيين ينحو منحى الدلالة.
- 2- الاعتراض عند النحاة وحيد بمصطلحه، بينما هو عند البلاغيين متعدد المصطلحات والمفاهيم.
- 3- الاعتراض عند النحاة يقتصر على ما بين المسند والمسند إليه دون الزوائد، بينما هو عند البلاغيين يشمل المتعلقات والزوائد ولو بالعطف⁽³³⁾.

ومن الجدير بالذكر أن الاعتراض البلاغي في القرآن ليس كغيره، فهو ليس وسيلة لتحسين الكلام فحسب، وليس حشواً يمكن الاستغناء عنه، بل إنه إذا وقع موقعه المناسب كان من مقتضيات النظم، ومن متطلبات المقام، ولو أسقط من السياق سقط معه جزء أصيل من المعنى، فهو يحمل بجانب كونه جزءاً من

(31) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (2/359).

(32) انظر: المصدر السابق.

(33) ولمزيد من التفصيل انظر: الطراز لأسرار البلاغة (2/89).

(34) التحرير والتنوير (7/130).

(35) هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، فخر الدين =

- عن الوقت المضروب لانقضاء الأمد، وأجل الإنسان هو الوقت المضروب لانقضاء عمره، وأجل الدين محله لانقضاء التأخير فيه وأصله من التأخير يقال أجل الشيء يأجل أجولاً، وهو أجل إذا تأخر والآجل نقيض العاجل⁽³⁶⁾.
- «ومعنى مسمى: معين؛ لأن أصل السمة العلامة التي يتعين بها المعلم، والتعيين هنا تعيين الحد والوقت»⁽³⁷⁾.
- وقد ذكر تعالى في الآية أجلين قضاهما سبحانه، فاختلف المفسرون بين معنى الأجل الأول والثاني على الأقوال التالية:
- 1- الأول: أجل الحياة إلى الموت، والثاني أجل الموت إلى البعث⁽³⁸⁾.
- 2- الأول: حين أخذ الله الميثاق على خلقه في ظهر آدم، والثاني: أجل الدنيا⁽³⁹⁾.
- 3- الأول: أجل من مات، والثاني: أجل من سيموت⁽⁴⁰⁾.
- 4- الأول: النوم، والثاني: الموت⁽⁴¹⁾.
- 5- الأول: مدة الدنيا، والثاني: عمر الإنسان إلى أن يموت⁽⁴²⁾.
- 6- الأول: الأجل المحتوم، والثاني: ما كان لزيادة في العمر لمن وصل رحمه⁽⁴³⁾.
- 7- الأول: خلق آدم من طين، والثاني: خلق بنيه من ظهره⁽⁴⁴⁾.

=وغيرهم، ومروي عن الضحاك عند الخازن أيضاً (2/98)، كما ذكر هذا القول النسفي في مدارك التنزيل (1/490)، والشوكاني في فتح القدير (2/113)، والقاسمي في محاسن التأويل (4/314)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (7/131)، وغيرهم.

(39) وهو مروي عن ابن زيد عند الماوردي في النكت والعيون (2/93).

(40) وهو مروي عن ابن شجرة عند الماوردي في النكت والعيون (2/93).

(41) انظر: مفاتيح الغيب (7/91)، ومدارك التنزيل (1/490)، وفتح القدير (2/113)، وفتح البيان (4/100).

(42) انظر: فتح القدير (2/113).

(43) انظر: المصدر السابق.

(44) رواه الطبري عن ابن وهب في جامع البيان (9/152).

=الرازي القرشي البكري، من ذرية أبي بكر الصديق عليه السلام، الشافعي المفسر المتكلم، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، واشتغل على والده، وله التفسير الكبير والمحصل في أصول الفقه، وشرح الأسماء الحسنى وشرح المفصل للزمخشري، توفي سنة 606هـ انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي (115).

(36) مفاتيح الغيب (7/91).

(37) التحرير والتنوير (7/131).

(38) رواه الطبري عن الحسن وقتادة والضحاك في جامع البيان (9/149-152)، وهو مروي عن ابن عباس عند السمعاني في تفسير القرآن العظيم (2/87)، ومروي عن الحسن وقتادة عند الماوردي في النكت والعيون (2/93)، وابن عطية في المحرر الوجيز (2/267)، والخازن في لباب التأويل (2/98)، =

8- الثاني هو الأول، وتقديره: هو أجل مسمى

أي: معلوم⁽⁴⁵⁾.

ونلاحظ أن جمهور المفسرين على القول الأول، ومنهم ابن عاشور، وقد رجحه ابن جرير الطبري فبعد أن سرد ثلاثة من الأقوال قال:

«وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: ثم قضى أجل هذه الحياة الدنيا، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ (الأنعام: 2)، وهو أجل البعث عنده، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأنه تعالى نبه خلقه على موضع حجته عليهم من أنفسهم، فقال لهم: أيها الناس، إن الذي يعدل به كفاركم الآلهة والأنداد هو الذي خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين، فجعلكم صوراً أجساماً أحياء بعد إذ كنتم طيناً جماداً، ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم، ليعيدكم تراباً وطيناً كالذي كنتم قبل أن ينشئكم ويخلقكم. ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ (الأنعام: 2) لإعادتكم أحياء وأجساماً كالذي كنتم قبل مماتكم، وذلك نظير قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: 28)»⁽⁴⁶⁾.

ومما يؤكد ذلك ما لحظه ابن عاشور من فائدة إعادة النكرة بعد النكرة حيث قال: «فالمراد بقوله: وأجل مسمى: أجل بعث الناس إلى الحشر، فإن إعادة النكرة

بعد نكرة يفيد أن الثانية غير الأولى، فصار المعنى: ثم قضى لكم أجلين: أجلاً تعرفون مدته بموت صاحبه، وأجلاً معين المدة في علم الله»⁽⁴⁷⁾.

ب - الدراسة البيانية:

1- في تقديم المبتدأ وهو قوله: ﴿وَأَجَلٌ﴾ وجواز الابتداء بالنكرة في هذا الموضع:

حيث كان الظاهر أن يؤخر المبتدأ، تقول: عندي كتاب، ولا تقول كتاب عندي.

«ولكن الذي أوجب تقديم النكرة: تعظيم شأن الأجل المضروب عنده سبحانه، والمراد به الساعة وتهويل أمرها»⁽⁴⁸⁾، قال الشوكاني⁽⁴⁹⁾: «وجاز الابتداء بالنكرة في قوله: وأجل مسمى عنده؛ لأنها قد تخصصت بالصفة»⁽⁵⁰⁾، وقال القاسمي⁽⁵¹⁾: «وَأَجَلٌ مبتدأ لتخصيصه

(47) التحرير والتنوير (7/ 131).

(48) إعراب القرآن وبيانه (3/ 63).

(49) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد الشوكاني، أبو عبد الله، فقيه، أصولي، محدث، مفسر، من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بـ «هجرة شوكان» - من بلاد خولان باليمن - ونشأ وتعلم بصنعاء، وولي قضاءها سنة 1229 هـ ومات بها، له أكثر من مئة كتاب منها: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) طبع، خمسة مجلدات، و(مطلع البدرين ومجمع البحرين)، توفي سنة 1250 للهجرة، انظر: البدر الطالع بمحاسن من في القرن السابع (2/ 207).

(50) فتح القدير (2/ 213).

(51) هو: جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، الحلاق،=

(45) انظر: مدارك التنزيل (1/ 490).

(46) جامع البيان (9/ 152).

هنا سيقى لفائدة، حيث أشارت إلى أجل مغاير للأجل المذكور، وفيه إعلام للناس أن الله عالم آجالهم سواء التي تظهر للناس ويعلمونها عند انقضاء أجل الإنسان، أو التي لا يعلمها إلا الله وحده وهو أجل الآخرة.

المطلب الثاني: الترغيب.

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفُّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 12).

أولاً: موضع الاعتراض ومقصده:

جملة: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ معترضة بين قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾، وقوله: ﴿لِيَجْمَعَ كُفُّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، وفائدته: ترغيب الخلق في التوبة والإنابة لله جل وعلا، وتندرج تحته فوائد أخرى كالتنويه برحمة الله تعالى، والتعريض ببشارة المؤمنين وتهديد المشركين، والإيحاء بإنجاء أمة الدعوة المحمدية ببركة النبي محمد ﷺ.

قال ابن عاشور: «وجملة: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ معترضة، وهي من المقول الذي أمر الرسول بأن يقوله.

وفي هذا الاعتراض معان:

أحدها: أن ما بعده لما كان مشعرا بإنذارٍ بوعيد قدم له التذكير بأنه رحيم بعبيده، عساهم يتوبون ويقلعون عن عنادهم، على نحو قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَلِلُهُ ثُمَّ تَابَ

بالصفة، ولوقوعه في موقع التفصيل، وتنوينه: لتفخيم شأنه، وتهويل أمره، ولذلك أوتر تقديمه على الخبر الذي هو عنده، مع أن الشائع في مثله التأخير، كأنه قيل: وأي أجل معين في علمه لا يعلمه أحد لا مجملا ولا مفصلا، أما أجل الموت فمعلوم إجمالا وتقريبا، بناء على ظهور أماراته، أو على ما هو المعتاد في أعمار الإنسان»⁽⁵²⁾.

2- اللمسة البيانية في وصف الأجل بالوصفين: ﴿مُسَيِّ عِنْدَهُ﴾.

ووصفه بـ﴿مُسَيِّ﴾؛ لأنه استأثر بعلم وقت القيامة سبحانه وحده⁽⁵³⁾.

والعنودية هنا تفيد الاستقلالية والحصر، فمعنى: ﴿عِنْدَهُ﴾ أنه مستقل بعلمه، أي: معلوم له دون غيره⁽⁵⁴⁾. وفي نهاية الدراسة يتضح لنا أن الجملة المعترضة

=عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد بدمشق، ونشأ، وتعلم بها، وانتدبه الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في البلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (1308-1312هـ) ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة، وعاد إلى دمشق فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب إلى أن توفي، من تصانيفه الكثيرة: (محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم)، (إصلاح المساجد من البدع والعوائد)، توفي سنة 1332هـ، انظر: الأعلام، للزركلي (2/135).

(52) محاسن التأويل (4/314).

(53) انظر: المحرر الوجيز (2/267)، والجواهر الحسان (2/444).

(54) انظر: محاسن التأويل (4/314)، والتحرير والتنوير (7/131).

مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ (الأنعام: 54)،
والشرك بالله أعظم سوءاً وأشد تلبساً بجهالة.

والثاني: أن الإخبار بأن الله ما في السماوات وما في الأرض، يثير سؤال سائل عن عدم تعجيل أخذهم على شركهم بمن هم ملكه، فالكافر يقول: لو كان ما تقولون صدقا لعجل لنا العذاب، والمؤمن يستبطئ تأخير عقابهم، فكان قوله: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ جواباً لكلا الفريقين بأنه تفضل بالرحمة، فمنها رحمة كاملة: وهذه رحمته بعباده الصالحين، ومنها رحمة موقته: وهي رحمة الإمهال والإملاء للعصاة والضالين.

والثالث: أن ما في قوله: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ﴾ من التمهيد لما في جملة ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ من الوعيد والوعد، ذكرت رحمة الله تعريضا ببشارة المؤمنين وبتهديد المشركين.

الرابع: أن فيه إيماء إلى أن الله قد نجى أمة الدعوة المحمدية من عذاب الاستئصال الذي عذب به الأمم المكذبة رسلها من قبل، وذلك ببركة النبي محمد ﷺ إذ جعله رحمة للعالمين في سائر أحواله بحكم قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: 107)، وإذ أراد تكثير تابعيه فلذلك لم يقض على مكذبيه قضاء عاجلا، بل أمهلهم وأملى لهم؛ ليخرج منهم من يؤمن به، كما رجا رسول الله ﷺ، ولذلك لما قالوا: ﴿ أَلَلَّهُمْ إِنْ كَانَتْ هَٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِّنْ

السَّمَاءِ أَوْ آتَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال: 32)، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ (الأنفال: 33)»⁽⁵⁵⁾.

ثانياً: دراسة موضع الاعتراض:

أ- الدراسة التفسيرية:

قال الطبري: «وقوله: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (الأنعام: 12) يقول: قضى أنه بعباده رحيم، لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم الإنابة والتوبة، وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة، يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء العادلين بي الجاحدين نبوتك يا محمد، إن تابوا وأنابوا قبلت توبتهم، وإني قد قضيت في خلقي أن رحمتي وسعت كل شيء»⁽⁵⁶⁾. وفي الحديث قوله ﷺ: (لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي)⁽⁵⁷⁾، وفي رواية: (إن رحمتي سبقت غضبي)⁽⁵⁸⁾.

(55) التحرير والتنوير (7/151).

(56) جامع البيان (9/168)، وانظر: معالم التنزيل (3/131).

(57) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ (الروم: 27) (4/106)، (ح3194)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (4/2107)، (ح2751).

(58) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (هود: 7) (9/125)، (ح7422)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (4/2107)، (ح2751).

وقال الخازن⁽⁵⁹⁾: «كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» يعني: أنه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة، وهذا استعطاف منه للمتولين عنه الإقبال عليه، وإخبار بأنه رحيم بعباده، وأنه لا يعجل بالعقوبة، بل يقبل التوبة والإنابة ممن تاب وأناب... عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)⁽⁶⁰⁾ زاد البخاري⁽⁶¹⁾ في رواية له: (ولو

يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب)⁽⁶²⁾، ولمسلم⁽⁶³⁾: (إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)⁽⁶⁴⁾ (65).

وقال الشوكاني: «وإذا ثبت أن له ما في السموات والأرض إما باعترافهم، أو بقيام الحجة عليهم، فالله قادر على أن يعاجلهم بالعقاب، ولكنه ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ

(59) هو: علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر ابن خليل الشيعي، علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، مشارك في بعض العلوم، من فقهاء الشافعية. نسبته إلى «شيحة» من أعمال حلب، ولد ببغداد، وسمع بها من ابن الثعالبي، وانتقل إلى دمشق، فسمع من القاسم بن مظفر وغيره، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميانية فيها، فاشتهر بالخازن بسبب ذلك، له تصانيف، منها: (لباب التأويل في معاني التنزيل) في التفسير، يعرف بتفسير الخازن، وتوفي بحلب سنة 741 للهجرة، انظر: معجم المفسرين من عصر الإسلام وحتى العصر الحاضر (379/1).

(60) لباب التأويل في معاني التنزيل (101/2)، والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء، (8/8)، (ح6000)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (2108/4)، (ح2752).

(61) هو: محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، الإمام العَلَم أبو عبد الله الجعفي، مَوْلَاهُمْ، الْبُخَارِيُّ، صاحب «الصحيح» والتصانيف، وأَوَّلُ سَمَاعَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَتَيْنِ، =

= وحفظ تصانيف ابن المبارك، وَحُبَّ إِلَيْهِ الْعِلْمَ مِنَ الصَّغَرِ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ ذِكَاؤُهُ الْمُفْرَط، وَنَشَأَ يَتِيمًا، وَكَانَ أَبُوهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْوَرَعِينَ، توفي سنة 260 للهجرة، انظر: تاريخ الإسلام (140/6).

(62) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف (8/99)، (ح6469).

(63) هو: مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ أَبُو الْحُسَيْنِ الْقَشِيرِيُّ النِّسَابُورِيُّ أحد الأئمة من حفاظ الأثر وهو صاحب المسند الصحيح، ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وكتابه (صحيح مسلم) جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمسة عشر سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليها عند أهل السنة، في الحديث، انظر: تاريخ بغداد (121/15).

(64) رواه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (2108/4)، (ح2752).

(65) لباب التأويل (101/2).

الرَّحْمَةِ ۖ أَي: وعد بها فضلا منه وتكرما... وفي الكلام ترغيب للمتولين عنه إلى الإقبال إليه، وتسكين خواطرهم بأنه رحيم بعباده لا يعاجلهم بالعقوبة، وأنه يقبل منهم الإنابة والتوبة، ومن رحمته لهم إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ونصب الأدلة⁽⁶⁶⁾.

1 - فائدة ذكر النفس لله تبارك وتعالى: وذلك لتأكيد وعده، والاختصاص به تعالى، ورفع الوسائط دونه⁽⁶⁹⁾.

2 - في الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، والمقصود التأكيد في التهديد في قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ (الأنعام: 12).

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ (الأنعام: 12): «كلام ورد على لفظ الغيبة، وقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ كلام ورد على سبيل المخاطبة، والمقصود منه التأكيد في التهديد، كأنه قيل: لما علمتم أن كل ما في السموات والأرض لله وملكه، وقد علمتم أن الملك الحكيم لا يهمل أمر رعيته ولا يجوز في حكمته أن يسوي بين المطيع والعاصي وبين المشتغل بالخدمة والمعرض عنها، فهلا علمتم أنه يقيم القيامة ويحضر الخلائق ويحاسبهم في الكل؟»⁽⁷⁰⁾.

وقال أبو السعود⁽⁶⁷⁾: «وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ جملة مستقلة داخلية تحت الأمر، ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق، شمول ملكه وقدرته لكل، مسوقة لبيان أنه تعالى رؤوف بعباده، لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم التوبة والإنابة، وأن ما سبق ذكره، وما لحق من أحكام الغضب، ليس من مقتضيات ذاته تعالى، بل من جهة الخلق، كيف لا؟ ومن رحمته أن خلقهم على الفطرة السليمة، وهداهم إلى معرفته وتوحيده، بنصب الآيات الأنفسية والآفاقية، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب المشحونة بالدعوة إلى موجبات رضوانه، والتحذير عن مقتضيات سخطه، وقد بدلوا فطرة الله تبديلا، وأعرضوا عن الآيات بالمرة،

(66) فتح القدير (2/ 118).

(67) هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي (أبو السعود فقيه، أصولي، مفسر، شاعر، عارف باللغات العربية والفارسية والتركية، من موالى الروم، من مؤلفاته: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم في تفسير القرآن)، و(بضاعة القاضي في الصكوك)، و(تهافت الأجداد في فروع الفقه الحنفي)، توفي سنة 982 هـ، انظر: البدر الطالع (1/ 261).

(68) إرشاد العقل السليم (3/ 115).

(69) انظر: مدارك التأويل (1/ 493)، وفتح القدير (2/ 118).

(70) مفاتيح الغيب (12/ 490).

3- (ال) في كلمة الرحمة:

الرَّحْمَةُ ۞، أي: يمهلهم.

قيل أنها للاستغراق، فتكون عامة تعم المحسن والمسيء.

وقيل إنها للعهد، فيراد بها الرحمة الواحدة التي أنزلها الله تعالى من المائة رحمة.

قال أبو حيان⁽⁷¹⁾: «والرحمة هنا الظاهر أنها عامة فتعم المحسن والمسيء في الدنيا... وقيل: الألف واللام للعهد، فيراد بها الرحمة الواحدة التي أنزلها الله تعالى من المائة الرحمة التي خلقها وأخر تسعة وتسعين يرحم بها عباده في الآخرة»⁽⁷²⁾.

4- متعلق قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾:

فقيل بكونه مستقلاً غير متعلق، وقيل هو متعلق بها قبله.

قال ابن عادل⁽⁷³⁾: «فقوله: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ

وقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أنه لا يمهلهم بل يحشرهم ويحاسبهم بكل ما فعلوا.

وقال آخرون: إنه متعلق بما قبله، والتقدير: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾.

وقيل: إنه لما قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، فكأنه قيل: وما تلك الرحمة؟ فقيل: إنه تبارك وتعالى ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ إلى يوم القيامة؛ وذلك لأنه خوف العذاب لحصل الهرج والمرج فصار يوم القيامة من أعظم أسباب الرحمة، فكان قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ كالتفسير لقوله: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾»⁽⁷⁴⁾.

وفي نهاية الدراسة يظهر أن الجملة المعترضة هنا أيضاً لم تأت لمجرد تحسين الكلام، بل حملت معنى عظيماً، وهو الترغيب وما يندرج تحته من معان، فكل المفسرين على أنها تبعث في النفس الرغبة والإقبال على التوبة والإنابة لله تعالى.

المطلب الثالث: التذييل.

وذلك في موضعين من سورة الأنعام:

1- في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ

=في علم الكتاب وهو من أحسن التفاسير في نحو عشرة مجلدات كان مشهوراً مشحوناً بأنواع قواعد العربية والعلوم السائرة في التفسير، توفي سنة 775 للهجرة، انظر: طبقات المفسرين، للأدنه وي (1/418-419).

(74) الباب في علوم الكتاب (8/48).

(71) هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة، وتوفي فيها، بعد أن كف بصره، من مؤلفاته: (البحر المحيط) في تفسير القرآن، و(النهر) اختصر به البحر المحيط، و(مجاني العصر)، توفي سنة 745هـ، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (2/279)، والأعلام، للزركلي (7/152).

(72) البحر المحيط (4/447).

(73) هو: عمر بن علي الشهير بابن عادل الحنبلي الدمشقي الإمام العالم الفاضل سراج الدين، قد صنف التفسير المسمى باللباب =

فَأَخَذْنَهُمْ بِالْبِاسِ أَيْ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا دُسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَايِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿٤٥﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ (الأنعام: 42-45).

2- في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُدْعُونَ﴾ (الأنعام: 105).

أولاً: موقع الاعتراض ومقصده:

1- فيما يخص الآية الأولى:

في قوله تعالى: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وفائدته تذييل الكلام؛ وذلك لثلاثة اعتبارات سيأتي الحديث عنها إن شاء الله.

قال ابن عاشور: «وجملة: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجوز أن تكون معطوفة على جملة: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك بما اتصل بها، عطف غرض على غرض، ويجوز أن تكون اعتراضاً تذييلياً فتكون الواو اعتراضية»⁽⁷⁵⁾.

2- فيما يخص الآية الثانية:

الاعتراض هنا في كامل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُدْعُونَ﴾، وفائدته تذييل الكلام، قال ابن عاشور في هذه الآية:

(75) التحرير والتنوير (7/421).

«جملة معترضة تذييلاً لما قبلها، والواو اعتراضية فهو متصل بجملة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الأنعام: 104) التي هي من خطاب الله تعالى رسوله ﷺ بتقدير «قل» كما تقدم»⁽⁷⁶⁾.

ثانياً: دراسة موضع الاعتراض:

أ- الدراسة التفسيرية.

1- فيما يخص الآية الأولى:

- معنى الآية:

قال الطبري: «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَقَطَّعَ دَايِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (الأنعام: 45) فاستوصل القوم الذين عتوا على ربهم، وكذبوا رسله، وخالفوا أمره عن آخرهم، فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بغتة، إذ جاءهم عذاب الله»⁽⁷⁷⁾.

وقال بعدها: «﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 45) يقول: والثناء الكامل، والشكر التام لله رب العالمين على إنعامه على رسله وأهل طاعته، بإظهار حججهم على من خالفهم من أهل الكفر، وتحقيق عداتهم ما وعدوهم على كفرهم بالله وتكذيبهم رسله، من نعم الله وعاجل عذابه»⁽⁷⁸⁾.

(76) التحرير والتنوير (7/421).

(77) جامع البيان (9/249).

(78) المصدر السابق (9/250)، وانظر: البسيط (8/143)، ومعالم

التنزيل (3/144)، والمحرر الوجيز (2/292).

- سبب الاستئصال:

سببه الظلم الذي هو الكفر، قال أبو حيان: «ونبه على سبب الاستئصال بذكر الوصف الذي هو الظلم، وهو هنا الكفر»⁽⁷⁹⁾.

- علة هذا الحمد:

وقع هذا الحمد لله جل وعلا لاعتبارات عدة منها:

1- تلقينُ للنبي ﷺ والمؤمنين بالحمد له سبحانه.

2- للكناية عن أن ما ذكر قبله من قطع دابر القوم الذين ظلموا إنما هو نعمة.

3- للتعجيب من إمهال الله تعالى لهم.

قال ابن عاشور: «وجملة: ﴿وَأَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجوز أن تكون معطوفة على جملة: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك بما اتصل بها، عطف غرض على غرض، ويجوز أن تكون اعتراضاً تذييلياً فتكون الواو اعتراضية، وأياً ما كان موقعها ففي المراد منها اعتبارات ثلاثة:

أحدها: أن تكون تلقيناً للرسول ﷺ والمؤمنين أن يحمدا الله على نصره رسله وأوليائهم وإهلاك الظالمين؛ لأن ذلك النصر نعمة بإزالة فساد كان في الأرض، ولأن في تذكير الله الناس به إيماء إلى ترقب

الأسوة بما حصل لمن قبلهم أن يترقبوا نصر الله كما نصر المؤمنين من قبلهم فيكون الحمد لله مصدراً بدلاً من فعله، عدل عن نصبه وتنكيره إلى رفعه وتعريفه للدلالة على معنى الدوام والثبات.

ثانيها: أن يكون الحمد لله كنايةً عن كون ما ذكر قبله نعمة من نعم الله تعالى؛ لأن من لوازم الحمد أن يكون على نعمة، فكأنه قيل: فقطع دابر القوم الذين ظلموا، وتلك نعمة من نعم الله تقتضي حمده.

ثالثها: أن يكون إنشاء حمد الله تعالى من قبل جلاله مستعملاً في التعجيب من معاملة الله تعالى إياهم وتدريجهم في درجات الإمهال إلى أن حق عليهم العذاب... وفي ذلك كله تنبيه على أنه يحق الحمد لله عند هلاك الظلمة؛ لأن هلاكهم صلاح للناس، والصلاح أعظم النعم، وشكر النعمة واجب، وهذا الحمد شكر؛ لأنه مقابل نعمة.

وإنما كان هلاكهم صلاحاً؛ لأن الظلم تغيير للحقوق وإبطال للعمل بالشريعة، فإذا تغير الحق والصلاح جاء الدمار والفوضى وافتتن الناس في حياتهم فإذا هلك الظالمون عاد العدل، وهو ميزان قوام العالم⁽⁸⁰⁾.

(80) التحرير والتنوير (7/232)، وانظر: مفاتيح الغيب

(535/12)، وبحر العلوم (1/448)، ومدارك التنزيل

(504/1)، ولباب التأويل (2/113)، والبحر المحيط=

(79) البحر المحيط (4/515).

2- فيما يخص الآية الثانية:

- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَةَ﴾:

فيها ثلاثة أقوال، كما ذكرها الماوردي⁽⁸¹⁾ في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَةَ﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهٌ أَحَدُهَا: أَنْ يَتَلَوُا بَعْضُهَا بَعْضًا فَلَا يَنْقُطُ التَّنْزِيلُ، وَالثَّانِي: أَنَّ الْآيَةَ تَنْصَرِفُ فِي مَعَانٍ مُتَغَايِرَةٍ مَبَالِغَةً فِي الْإِعْجَازِ وَمُبَايَنَةٍ لِكَلَامِ الْبَشَرِ. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ اخْتِلَافٌ مَا تَضُمُّنَهَا مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، لِيَكُونَ أَبْلَغُ فِي الزَّجْرِ، وَأَدْعَى إِلَى الْإِجَابَةِ، وَأَجْمَعُ لِلْمَصْلَحَةِ⁽⁸²⁾.

والمعنى: أي: «كما صرفت لكم أيها الناس الآيات والحجج في هذه السورة وبيتها، فعرفتكموها في توحيد وتصدق رسولي وكتابي، ووصيتكم عليها، فكذاك أبين لكم آياتي وحججي في كل ما جهلتموه فلم

تعرفوه من أمري ونهيي⁽⁸³⁾.

- في قوله تعالى: ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾:

1- اللام في يقولوا:

قيل هي لام الصيرورة أو العاقبة، قال البغوي⁽⁸⁴⁾: (قيل: معناه لئلا يقولوا، ﴿دَرَسْتَ﴾ وقيل: هذه اللام لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا: درست⁽⁸⁵⁾).

2- ضمير الفاعل في قوله ليقولوا:

هم أهل مكة⁽⁸⁶⁾.

3- معنى درست:

درست، أي: قرأت على غيرك، وقيل: قرأت

كتب أهل الكتاب⁽⁸⁷⁾.

- قوله تعالى: ﴿وَلْيُنَبِّئَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

- معنى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

(83) جامع البيان (471/9).

(84) هو: الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي: فقيه، محدث، مفسر، من تصانيفه: (التهذيب) في فقه الشافعية، و(شرح السنة) في الحديث، و(معالم التنزيل) في التفسير، توفي سنة 510 هـ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (49/1)، طبقات المفسرين للأدنه وي (1/161)، سير أعلام النبلاء (19/439).

(85) معالم التنزيل (3/175)، وانظر: مفاتيح الغيب (15/409)، ومدارك التنزيل (1/528)، والجواهر الحسان (2/504)، وروح البيان (3/82).

(86) معالم التنزيل (3/175)، وانظر: البحر المحيط (4/608).

(87) انظر: معالم التنزيل (3/175).

= (4/415)، ومحاسن التأويل (4/361).

(81) هو: علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي: أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة، ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل «أقضى القضاة» في أيام القائم بأمر الله العباسي، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، نسبته إلى بيع ماء الورد، من كتبه: (أدب الدنيا والدين)، و(الأحكام السلطانية)، و(النكت والعيون)، ووفاته ببغداد سنة 450 هـ، انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي (1/71)، والأعلام، للزركلي (4/327).

(82) النكت والعيون (2/153).

حذف، وتقديره: ولثلاثا يقولوا درست، فحذف ذلك إيجازاً كقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَلُّوا﴾ (النساء: 176)، أي: لثلاثا تضلوا⁽⁹¹⁾.

- في الاتيان بضمير القائلين: (ليقولوا)، دون إظهارهم: قال أبو السعود: «وجاز الإضمار لاشتغالهم بالدراسة»⁽⁹²⁾، أي ذلك حاضراً في أذهانهم فجاز الإضمار.

- في تخصيص التبيين بالذين يعلمون: وذلك لأنهم هم المتفعون بذلك التبيين، قال أبو السعود: «وتخصيصه بهم لما أنهم المتفعون به، قال ابن عباس: هم أولياؤه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد»⁽⁹³⁾. - المقصد من وصف الذين يعلمون بوصف العلم: قال أبو السعود: «ووصفهم بالعلم للإيذان بغاية جهل الأولين وخلوهم عن العلم بالمرءة»⁽⁹⁴⁾.

وفي نهاية الدراسة نلاحظ ما يلي:

1- فيما يخص الآية الأولى:

لما ذكر الله تعالى جملة النعم والتي من آخرها خلاصهم من شر أعدائهم وكانت نعمة عظمى، ناسب تذييل الكلام بها يشعر بعظم هذه المنة فجيء بحمد ذي

فيها معنيان: قال البغوي: «قال ابن عباس: يريد أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد، وقيل: يعني أن تصريف الآيات ليشقى به قوم ويسعد به آخرون، فمن قال: درست، فهو شقي، ومن تبين له الحق: فهو سعيد»⁽⁸⁸⁾.

ب- الدراسة البانية:

1- فيما يخص الآية الأولى:

في قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وضع الإظهار موضع الإضمار، وذلك لفائدة، قال أبو السعود: «ووضع الظاهر موضع الضمير، للإشعار بعلّة الحكم فإن هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر وإقامة المعاصي مقام الطاعات»⁽⁸⁹⁾.

2- فيما يخص الآية الثانية:

- في إسناد الفعل إلى الآيات في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾:

قال أبو السعود: «وقد جوز إسناد الفعل إلى الآيات وهو في الحقيقة لأهلها أي دارس أهل الآيات»⁽⁹⁰⁾، أي: دارس أهل الكتاب.

- في الآية حذف للإيجاز، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾:

قال الماوردي: ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ وفي الكلام

(91) النكت والعيون (2/153).

(92) إرشاد العقل السليم (3/171).

(93) المصدر السابق.

(94) المصدر السابق.

(88) معالم التنزيل (3/175).

(89) إرشاد العقل السليم (3/171).

(90) المصدر السابق.

الجلال والعظمة سبحانه، «فهذه الجملة بيان للحق الواقع من كون الحمد والثناء على ذلك مستحقا لله تعالى وحده، وإرشاداً لعباده المؤمنين، يذكرهم بما يجب عليهم من حمده على نصر المرسلين المصلحين، وقطع دابر الظالمين المفسدين، وحمده في عاقبة كل أمر، وخاتمة كل عمل كما قال في عباده المتقين: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: 10)، وسواء كان ذلك الأمر الذي تم من السراء أو الضراء فإن للمتقين في كل منهما عبرة وفائدة، ونعمة ظاهرة أو باطنة»⁽⁹⁵⁾.

2- فيما يخص الآية الثانية:

جاءت هذه الآية في ذيل الحديث كخاتمة رصينة لتختتم الحديث عن حسن تصريح الآيات في هذا القرآن العظيم، وهذا ما ألمح إليه غير واحد من المفسرين. **المطلب الرابع: الامتنان.**

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 60).

أولاً: موضع الاعتراض ومقصده:

الجملة المعترضة هنا هي قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾، وقد جاءت في معرض الامتنان بنعمة الإمهال لهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، وهو يحمل بين

ثنياه تحذيراً للمؤمنين من مواجهة الذنب، وتهديداً للمشركين في نفس الوقت.

قال ابن عاشور: «وجملة: ويعلم ما جرحتم بالنهار معترضة لقصد الامتنان بنعمة الإمهال، أي: ولولا فضله لما بعثكم في النهار مع علمه بأنكم تكتسبون في النهار عبادة غيره ويكتسب بعضكم بعض ما نهاهم عنه كالمؤمنين»⁽⁹⁶⁾.

وقال: «ففي الإخبار أنه يعلم ما يقع فيه تحذير من اكتساب ما لا يرضى الله باكتسابه بالنسبة للمؤمنين، وتهديد للمشركين»⁽⁹⁷⁾.

ثانياً: دراسة موضع الاعتراض:

أ- الدراسة التفسيرية:

1- معنى قوله تعالى: ﴿جَرَحْتُمْ﴾.

قال ابن عاشور: ومعنى جرحتم كسبتم، وأصل الجرح تمزيق جلد الحي بشيء محدد مثل السكين والسيوف والظفر والناب. فاتفق المفسرون - كما سيأتي - على أن معنى جرحتم: كسبتم.

فقال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: وقل لهم يا محمد، والله أعلم بالظالمين: والله هو الذي يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم، ﴿وَيَعْلَمُ مَا

(96) المنار (7/ 348).

(97) المصدر السابق.

(95) المنار (7/ 348).

ب- أن المراد خاص بكسب أعمال الشر والآثام⁽¹⁰¹⁾.

فقال السمرقندي⁽¹⁰²⁾: «وهو الذي يتوفاكم بالليل يعني: يقبض أرواحكم في منامكم ويعلم ما جرحتم يعني: ما كسبتم من خير أو شر بالنهار»⁽¹⁰³⁾.

بينما قال الزمخشري⁽¹⁰⁴⁾: «ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم، من النوم بالليل، وكسب الآثام بالنهار»⁽¹⁰⁵⁾.

والأول أعم وأولى، «وقد استعمل الاجترار

جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ» (الأنعام: 60) يقول: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار. ومعنى التوفي في كلام العرب: استيفاء العدد... وأما الاجترار عند العرب: فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه، وهي الجوارح عندهم جوارح البدن فيما ذكر عنهم، ثم يقال لكل مكتسب عملاً: جارح، لاستعمال العرب ذلك في هذه الجوارح، ثم كثر ذلك في الكلام حتى قيل لكل مكتسب كسباً بأي أعضاء جسمه اكتسب: مجترح»⁽⁹⁸⁾.

وقال ابن عطية: «وَجَرَحْتُمْ» معناه كسبتم، ومنه جوارح الصيد، أي: كواسبه، ومنه جوارح البدن لأنها كواسب النفس، ويحتمل أن يكون «جَرَحْتُمْ» هنا من الجرح كأن الذنب جرح في الدين، والعرب تقول جرح اللسان كجرح اليد»⁽⁹⁹⁾.

2- الاختلاف في ماهية المكتسب:

رغم اتفاق المفسرين على معنى الجرح في الآية، إلا أنهم اختلفوا في ماهية المكتسب، هل المراد: الأعمال عامة من خير وشر، أم هي خاصة بكسب الآثام فقط؟ على قولين:

أ- أن المراد عامة الكسب، سواء كانت أعمال الخير أم أعمال الشر⁽¹⁰⁰⁾.

(98) جامع البيان (284/9 - 285).

(99) المحرر الوجيز (300/2).

(100) انظر: جامع البيان (284/9)، وبحر العلوم (454/1)، = (105) الكشف (32/2).

= وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (3/238)، وفتح القدير (142/2).

(101) انظر: الكشف (32/2)، ومدارك التنزيل (510/1).

(102) هو: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (أبو الليث) فقيه، مفسر، محدث، حافظ، صوفي، من تصانيفه الكثيرة: (النوازل)، في فروع الفقه الحنفي، و(تفسير القرآن)، و(تنبيه الغافلين)، توفي في 11 جمادى الآخرة سنة 393هـ. انظر: طبقات المفسرين، للأدنه وي (91/1).

(103) بحر العلوم (454/1).

(104) هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جاز الله، أبو القاسم: من أئمة المعتزلة، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجاز الله، من مؤلفاته: (الكشاف في تفسير القرآن)، و(أساس البلاغة والمفصل)، وتوفي في خوارزم سنة 538هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (151/20)، والأعلام، للزركلي (178/7).

بمعنى فعل الشر خاصة في قوله تعالى في سورة الجاثية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الجاثية: 21)، ولم يذكر الجرح والاجتراح في القرآن إلا في هاتين الآيتين، وقد يكون التخصيص بعمل السيئات لصيغة الافتعال كما ورد كثيرا في الاكتساب كقوله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: 286) وهو غير مطرد في ذلك، فكل من الكسب والاكتساب يستعمل في الخير والشر.

فمعنى قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ يعلم جميع عملكم وكسبكم⁽¹⁰⁶⁾.

3 - تخصيص وقت النهار في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾:

وذلك جرياً على العادة من أن النهار للعمل، والليل للسبات والنوم، وإلا فهو سبحانه يعلم أعمالهم بالليل، كما أن الإنسان قد ينام في النهار فيدخل في الموت الأصغر⁽¹⁰⁷⁾، ولكن جرى تخصيص كل من الأمرين بزمن ما يكون فيهما عادة.

قال إسماعيل حقي⁽¹⁰⁸⁾: «خص الليل بالنوم

(106) تفسير المنار (400/7).

(107) انظر: مدارك التنزيل (510/1).

(108) هو: إسماعيل حقي بن مصطفى الاستامبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء: متصوف مفسر، تركي مستعرب، ولد في=

والنهار بالكسب جرياً على العادة»⁽¹⁰⁹⁾.

وقال ابن عاشور: «ووقع الاقتصار على الإخبار بعلمه تعالى ما يكسب الناس في النهار دون الليل رعيًا للغالب، لأن النهار هو وقت أكثر العمل والاكتساب»⁽¹¹⁰⁾.

4 - المخاطبون بالآية:

نجد أن أغلب المفسرين ذهبوا للقول بأن الخطاب في الآية عام للمؤمنين والكافرين، بينما نص النسفي⁽¹¹¹⁾ على أن المخاطبين هم الكفرة فقال: «ثم

=أيديوس، وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بروسه، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى تكفور طاغ، وأوذى، وعاد إلى بروسه فمات فيها له كتب عربية وتركية، فمن العربية (روح البيان في تفسير القرآن) أربعة أجزاء، يعرف بتفسير حقي، وتوفي سنة 1127 هـ، الأعلام، للزركلي (1/313).

(109) روح البيان (44/3).

(110) التحرير والتنوير (276/7).

(111) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين مفسر، متكلم، أصولي، من فقهاء الحنفية. من أهل إيدج - كورة وبلدة بين خوزستان وأصبهان - ونسبته إلى «نسف» من بلاد السند، بين جيحون وسمرقند، تتلمذ لشيوخ كثيرين، ورحل إلى بغداد قال في الفوائد البهية: «كان إماماً عديماً النظير في زمانه، رأساً في الفقه والأصول، بارعاً في الحديث ومعانيه...»، من كتبه: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) في التفسير، وهو كتاب «وسط يعرض لوجوه الإعراب والقراءات ولشيء من البيان والبدیع»، توفي سنة 710 للهجرة، انظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر (304/1-305).

خاطب الكفرة بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ بِاللَّيْلِ﴾، أي: يقبض أنفسكم عن التصرف بالتمام في المنام ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ كسبتم فيه من الآثام⁽¹¹²⁾.

ب- الدراسة البيانية:

1- في ورود الفعل: ﴿جَرَحْتُمْ﴾ بالماضي:

«قيل: إن الماضي هنا بمعنى المستقبل، أي: ويعلم ما تجرحونه في النهار الذي يلي الليل، عبر به لتحقيق وقوعه. وقيل: بل هو على أصله ويراد به النهار السابق على الليل الذي يتوفاكم فيه.

أو المراد يتوفاكم في جنس الليل ويعلم ما جرحتم في جنس النهار»⁽¹¹³⁾.

2- في تقديم العلم بما يكسبون في النهار على بعثهم فيه: لأنه الأهم، قال النسفي: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ كسبتم فيه من الآثام ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ ثم يوقظكم في النهار أو التقدير ثم يبعثكم في النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب؛ لأنه أهم وليس فيه أنه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا أنه لا يتوفانا بالنهار فدل أن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه»⁽¹¹⁴⁾.

وقال الشوكاني: «وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: هو الذي يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم

بالنهار ويعلم ما جرحتم فيه».

وفي نهاية الدراسة نرى كيف دل مجموع كلام المفسرين على أن ورود الاعتراض هنا جاء مجيء الامتنان بعدم معاجلتهم بالعقوبة، ويتضمن كمال علم الله ﷻ، كقول ابن كثير⁽¹¹⁵⁾: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾، أي: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار، وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه تعالى بخلقه في ليلهم ونهارهم، في حال سكونهم وحال حركتهم، كما قال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وكما قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ (القصص: 73)، أي: في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ (القصص: 73)، أي: في النهار كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: 10-11)، ولهذا قال تعالى ها هنا وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم من الأعمال فيه»⁽¹¹⁶⁾.

(115) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري، ثم الدمشقي، الشافعي المعروف بابن كثير (عماد الدين، أبو الفداء) محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه، من تصانيفه: (تفسير القرآن العظيم)، و(مختصر علوم الحديث، لابن الصلاح)، و(البداية والنهاية في التاريخ)، توفي في شعبان سنة 774هـ. انظر: طبقات المفسرين، للدواودي (1/111)، وتذكرة الحفاظ (1/1).

(116) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (3/238).

(112) مدارك التنزيل (1/510).

(113) تفسير المنار (7/400).

(114) مدارك التنزيل (1/510).

وقول إسماعيل حقي: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾، أي: يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم، وتوسيط قوله: ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بينهما؛ لبيان ما في بعثهم من عظيم الإحسان إليهم بالتنبيه على أنه بعد علم ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لإبائهم على التوفي بل لإهلاكهم بالمرّة، فيفيض عليهم الحياة ويمهلهم، كما ينبئ عنه كلمة التراخي كأنه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليل، ثم يبعثكم في جنس النهار، مع علمه بما ستجرعون فيه⁽¹¹⁷⁾.

وقال الشوكاني: «ومعنى الآية: أن إمهاله تعالى للكفار ليس للغفلة عن كفرهم، فإنه عالم بذلك، ولكن ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، أي: معين لكل فرد من أفراد العباد من حياة ورزق، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، أي: رجوعكم بعد الموت، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته⁽¹¹⁸⁾.

المطلب الخامس: الترهيب.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (الأنعام: 66).

أولاً: موضع الاعتراض ومقصده:

الجملة المعترضة في هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾، وفائدتها للترهيب والتخويف ولتحقيق

القدرة على تعذيبهم.

قال ابن عاشور: «وجملة وهو الحق معترضة لقصد تحقيق القدرة على أن يبعث عليهم عذاباً إلخ، وقد تحقق بعض ذلك بعذاب من فوقهم وهو عذاب القحط، وبإذاقتهم بأس المسلمين يوم بدر⁽¹¹⁹⁾.

ثانياً: دراسة موضع الاعتراض:

أ- الدراسة التفسيرية:

1- الضمير: ﴿هُوَ﴾ متعلق بالاختلاف في عود الضمير في قوله: ﴿بِهِ﴾ وما قبله وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَجْنَبْنَا مِّنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِّنْهَا وَمَن كَلَّ كَرَبٍ ثُمَّ انْتُم تَشْرِكُونَ﴾ ﴿قُلْ هُوَ الْفَادِرُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصْرَفُ الْأَيْدِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (الأنعام: 63-66).

وهو على أربعة أقوال:

- أنه يعود على القرآن⁽¹²⁰⁾.

(119) التحرير والتنوير (7/ 286 - 287).

(120) عزاه الماوردي إلى الحسن والسدي في النكت والعيون (2/ 128)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (3/ 154)، وابن عطية في المحرر الوجيز (2/ 303)، والرازي في مفاتيح الغيب (13/ 21)، والنسفي في مدارك التنزيل (1/ 512)، والخازن في لباب التأويل (2/ 122)، وابن عادل في اللباب في علوم=

(117) روح البيان (3/ 44).

(118) فتح القدير (2/ 142).

- أنه يعود على تصريف الآيات المذكور قبله⁽¹²¹⁾.
 - أنه يعود على العذاب والوعيد المذكور قبله⁽¹²²⁾.
 - أنه يعود على النبي ﷺ⁽¹²³⁾.
 وقد رجح الطبري القول الثالث، فقال: «يقول

تعالى ذكره: ﴿وَكَذَّبَ﴾ يا محمد ﴿قَوْمُكَ﴾ بما تقول وتخبر وتوعد من الوعيد. ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ (البقرة: 91)، يقول: والوعيد الذي أوعدناهم على مقامهم على شركهم، من بعث العذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم، أو لبسهم شيعا، وإذاقة بعضهم بأس بعض، الحق الذي لا شك فيه أنه واقع، إن هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه مقيمون، من معصية الله والشرك به، إلى طاعة الله والإيمان به»⁽¹²⁴⁾.

ورجح ابن كثير القول الأول، فقال: «والمراد

الأول: أنه راجع إلى العذاب المذكور في الآية السابقة وهو الحق، أي: لا بد وأن ينزل بهم. الثاني: الضمير في «به» للقرآن وهو الحق، أي: في كونه كتابا منزلا من عند الله. الثالث: يعود إلى تصريف الآيات وهو الحق لأنهم كذبوا كون هذه الأشياء دلالات»⁽¹²⁵⁾.
 والمعنى في عود الضمير على هذه الأقوال:
 «والمعنى أن الضمير في «به» للعذاب، فمعنى كونه حقا لا بد أن ينزل بهم، وإن عاد إلى القرآن، فمعنى كونه حقا، أي: كتاب منزل من عند الله، وإن عاد إلى تصريف الآيات، أي: أنهم كذبوا كون هذه الأشياء دلالات، وهو حق»⁽¹²⁷⁾.

2- المراد بقوله تعالى: ﴿قَوْمُكَ﴾:

الجمهور على أن المراد بهم: قريش⁽¹²⁸⁾، وقيل كل

=الكتاب (8/205)، والشوكاني في فتح القدير (2/145).

(121) النكت والعيون (2/128)، ومفاتيح الغيب (13/21)، ولباب التأويل (2/122)، واللباب في علوم الكتاب (8/205).

(122) جامع البيان (9/310)، ومعالم التنزيل (3/154)، والكشاف (2/34)، والمحرر الوجيز (2/303)، ومفاتيح الغيب (13/21)، ومدارك التنزيل (1/512)، ولباب التأويل (2/122)، واللباب في علوم الكتاب (8/205)، وفتح القدير (2/145).

(123) وهو بعيد، لقرب مخاطبته - عليه الصلاة والسلام - بعد ذلك بالكاف في قوله: ﴿قَوْمُكَ﴾، انظر: المحرر الوجيز (2/303)، واللباب في علوم الكتاب (2/122).

(124) جامع البيان (9/310 - 311).

(125) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (3/248).

(126) مفاتيح الغيب (13/21).

(127) اللباب في علوم الكتاب (8/205).

(128) انظر: جامع البيان (9/311)، وتفسير القرآن العظيم،

معاند⁽¹²⁹⁾، والأول ألصق بمعنى الآيات.

ب- الدراسة البيانية:

1- في وصف المكذبين به بقوله تعالى: ﴿قَوْمُكَ﴾:

قال ابن عاشور: «والتعبير عنهم بـ: ﴿قَوْمُكَ﴾ تسجيل عليهم بسوء معاملتهم لمن هو من أنفسهم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: 23)، وقال طرفة:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة... على المرء من
وقع الحسام المهند⁽¹³⁰⁾.

2- في تعدية الفعل: ﴿كَذَّبَ﴾ بالباء فقال:
﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾، ولم يقل: وكذبه:

للدلالة على قوة تكذيبهم وإنكارهم، لأن الباء تؤكد لصوق معنى الفعل بمفعوله.

قال ابن عاشور: «والباء التي عدي بها فعل كذبتهم هي لتأكيد لصوق معنى الفعل بمفعوله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ (المائدة: 6)، فلذلك يدل فعل التكذيب إذا عدي بالباء على معنى الإنكار، أي: التكذيب القوي، ولعل الاستعمال أنهم لا يعدون فعل التكذيب بالباء إلا إذا أريد تكذيب حجة أو برهان مما

يحسب سبب تصديق، فلا يقال: كذبت بفلان، بل يقال:

كذبت فلانا قال تعالى: ﴿لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ (الفرقان: 37)، وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (القمر: 23)⁽¹³¹⁾.

وفي نهاية الدراسة نرى أن الجملة المعترضة في هذه الآية لم تأت لتكميل المعنى فحسب، بل حملت في طياتها ترهيباً وتخويفاً من قدرة الله تعالى على بعث العذاب عليهم، وهذا ما يتماشى مع رأي جمهور المفسرين في الآية.

المطلب السادس: التعجيب.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ^٣ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ^٤ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 99).

أولاً: موضع الاعتراض ومقصده:

الاعتراض هنا في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾، قال ابن عاشور في فائدة هذا الاعتراض:

«وجملة: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾:

عطف على: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾، ويجوز أن تكون

= لابن كثير (248/3)، ومدارك التنزيل (512/1).

(129) انظر: فتح القدير (145/2).

(130) التحرير والتنوير (286/7)، وبيت الشعر من ديوان طرفة بن

العبد، (ص36).

(131) انظر: التحرير والتنوير (266/7).

معترضة، والواو اعتراضية، وقوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ خبر مقدم، و﴿قِنَوَانٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والمقصود بالإخبار هنا: التعجيب من خروج القنوان من الطلع، وما فيه من بهجة، وبهذا يظهر وجه تغيير أسلوب هذه الجملة عن أساليب ما قبلها وما بعدها، إذ لم تعطف أجزاؤها عطف المفردات، على أن موقع الجملة بين أخواتها يفيد ما أفادته أخواتها من العبرة والمنة⁽¹³²⁾.

ثانياً: دراسة موضع الاعتراض:

أ- الدراسة التفسيرية:

1- الإعراب والمناسبة:

- الإعراب: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ الواو اعتراضية، و﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾ بدل من الجار والمجرور قبله بإعادة الجار، والبدل هنا بدل بعض من كل؛ لأن الطلع أول ما يبدو للعيون منها، و﴿قِنَوَانٌ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿دَانِيَةٌ﴾ صفة لقنوان⁽¹³³⁾.

- المناسبة: مناسبة الجملة وتربطها مع سابقتها في الآية ظاهر، ففي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ أي: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي من النبات ﴿خَضِرًا﴾ أي شيئاً غصناً أخضر بالخلقة لا بالصناعة، وهو ما تشعب

من أصل النبات الخارج من الحب، كساق النجم، وأغصان الشجر، نخرج منه أي من هذا الأخضر المتشعب من النبات أنا بعد أن حباً متراكباً بعضه فوق بعض وهو السنب، فهذا تفصيل لنماء النجم الذي لا ساق له من النبات وتناجه، وعطف عليه حال نظيره من الشجر فقال: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾⁽¹³⁴⁾.

قال الرازي: «ولما ذكر ما ينبت من الحب أتبعه بذكر ما ينبت من النوى، وهو القسم الثاني فقال: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾»⁽¹³⁵⁾.

2- المعنى:

- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾: أي ونخرج من طلع النخل قنوانا دانية القطوف سهلة التناول.

- قوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾: اسم جنس جمعي يذكر ويؤنث قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (الحاقة: 7)، وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ (القمر: 20)⁽¹³⁶⁾.

- قوله: ﴿مِنْ طَلْعِهَا قِنَوَانٌ﴾: ما الطلع وما القنوان؟

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا﴾ والطلع أول ما يخرج من ثمر النخل، ﴿قِنَوَانٌ﴾ جمع قنو وهو العذق، مثل صنو

(134) تفسير المنار (7/ 535).

(135) مفاتيح الغيب (13/ 85).

(136) فتح البيان (5/ 207).

(132) التحرير والتنوير (7/ 400).

(133) إعراب القرآن وبيانه (3/ 184).

ب- الدراسة البيانية:

1- تكرار حرف الجر: (من)، في قوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾:

هذا الموضع هو أحد مواضع في القرآن تكرر فيها العامل (حرف الجر) مع البدل - كما سبق في الإعراب - وذلك للتأكيد ولزيادة الوصف.

قال ابن عاشور: «وقد استقرت ما بلغت إليه من موارد استعماله، فتحصل عندي أن العامل الأصيل من فعل وشبهه لا يتكرر مع البدل، وأما العامل التكميلي لعامل غيره وذلك حرف الجر خاصة، فهو الذي ورد تكريره في آيات من القرآن من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْأَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَن ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ في سورة (الأعراف: 75)، وآية سورة الزخرف، وقوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ (الأنعام: 99)؛ ذلك لأن حرف الجر مكمل لعمل الفعل الذي يتعلق هو به؛ لأنه يعدي الفعل القاصر إلى مفعوله في المعنى الذي لا يتعدى إليه بمعنى مصدره، فحرف الجر ليس بعامل قوي ولكنه مكمل للعامل المتعلق هو به... فما أظهر فيه حرف الجر من هذه الآيات كان مقتضى إظهاره إما قصد تصوير الحالة كما في أكثر الآيات... الخ كلامه»⁽¹⁴²⁾.

وقال في موضع آخر: «وقد أعيد حرف الجر مع

وصنوان، ولا نظير لهما في الكلام»⁽¹³⁷⁾.

«يقال: أَطْلَعَتِ النخلة: إذا أخرجت طلعتها، وطلعتها: كفراها»⁽¹³⁸⁾ قبل أن ينشق عن الإغريض، والإغريض⁽¹³⁹⁾ يسمى طلعا أيضاً، وهو ما يكون في قلب الطلع والطلع أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل، كالكيزان يكون فيه العدق، فإذا شق عنه كيزانه سمي عذقا، وهو القنؤ، وجمعه قنوان، مثل: صُنُو وَصِنَوَانٌ»⁽¹⁴⁰⁾.

- قوله تعالى: ﴿دَانِيَةٌ﴾:

اختلف في دنو ثمار القنوان على قولين⁽¹⁴¹⁾:

- 1- أن القنوان من كثرة ثمرها تصبح ثقيلة متدلّية فتصير قريبة ينالها القائم والقاعد.
- 2- وقيل المراد قصار النخل، فتصبح دانية لقصرها ولصوق عروقها بالأرض.

(137) معالم التنزيل (3/ 172).

(138) كُفِّرَها: بضم الكاف، وتشديد الراء المفتوحة، وفتح الفاء أو ضمها: وعاء الطلع، وقشره الأعلى. انظر: اللسان (7/ 3901)، مادة (كفر).

(139) الإغريض بكسر الهمزة وسكون الغين: كل أبيض مثل اللبن، والطلع حين ينشق عنه كافوره. انظر: اللسان (6/ 3242)، مادة (غرض).

(140) لباب التأويل (2/ 140).

(141) انظر: البحر المحيط (4/ 579)، ومدارك التنزيل (1/ 525)، وفتح البيان (5/ 207)، ومحاسن التأويل (4/ 445).

(142) التحرير والتنوير (7/ 110).

البدل للتأكيد، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ في (الأنعام: 99) (143).

وقال في موضع آخر: «وأعيد مع البدل حرف الجر العامل مثله في المبدل منه؛ لتأكيد العامل كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾ (الأنعام: 99) (144).

2- (ال) في كلمة: ﴿النَّخْلِ﴾:

«والتعريف في النخل تعريف العهد الجنسي، وإنما جيء بالتعريف فيه للإشارة إلى أنه الجنس المؤلف المعهود للعرب، فإن النخل شجرهم وثمره، قوتهم وحوادثه، منبسط نفوسهم، ولك أن تجعله حالا من النخل اعتدادا بالتعريف اللفظي كقوله والزيتون والرمان مشتبهاً» (145).

3- دلالة الحذف:

ذكر غير واحد من المفسرين، وجود حذف في الكلام، حيث ذكر تعالى من القنوان الدانية ولم ينص على البعيدة؛ وذلك لفوائد، منها:

- دلالة الكلام عليه وسبقه إلى الأفهام، كما في قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ (النحل: 81).

- ولأن القريبة أسهل في تناول.

- ولأن النعمة في القرية أكمل وأبلغ.

قال البغوي: «وفيه اختصار معناه: ومن النخل ما قنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة، فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة؛ لسبقه إلى الأفهام، كقوله تعالى: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ (النحل: 81)، يعني: الحر والبرد، فاكتفى بذكر أحدهما» (146).

وقال الرازي: «قال الزجاج: ولم يقل ومنها قنوان بعيدة؛ لأن ذكر أحد القسمين يدل على الثاني كما قال: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ (النحل: 81) ولم يقل سراويل تقيكم البرد؛ لأن ذكر أحد الضدين يدل على الثاني، فكذا هاهنا وقيل أيضاً: ذكر الدانية في القرية، وترك البعيدة؛ لأن النعمة في القرية أكمل وأكثر» (147).

وقال النسفي: «وفيه اكتفاء أي: وغير دانية؛ لطولها، كقوله: سراويل تقيكم الحر» (148).

وقال الخازن: «وفيه اختصار وحذف، تقديره: ومن النخل ما قنوانها دانية قريبة، ومنها ما هي بعيدة عالية، فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة؛ لشدة الاهتمام بها، ولأنها أسهل تناولا من البعيدة؛ لأن البعيدة تحتاج إلى كلفة» (149).

وقال القاسمي: «وإنما اقتصر على ذكرها؛ لدلتها

(146) معالم التنزيل (3/ 172).

(147) مفاتيح الغيب (13/ 85).

(148) مدارك التنزيل (1/ 525).

(149) لباب التأويل (2/ 140).

(143) التحرير والتنوير (9/ 167).

(144) المصدر السابق (30/ 166).

(145) المصدر السابق (7/ 400).

إيمان بنت عبد الله العمودي: مقاصد الاعتراض البياني في سورة الأنعام عند ابن عاشور «جمع ودراسة»

رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿الأنعام: 106﴾.

أولاً: موضع الاعتراض ومقصده:

موضع الاعتراض هنا هو في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، وفائدته تقرير الوحانية لله جل وعلا، وإغاظة المشركين.

قال ابن عاشور: «وجملة: لا إله إلا هو معترضة، والمقصود منها إدماج التذكير بالوحانية لزيادة تقررهما وإغاظة المشركين»⁽¹⁵³⁾.

ثانياً: دراسة موضع الاعتراض:

أ- الدراسة التفسيرية:

- معنى الآية:

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك، فاعمل به، وانزجر عما زجرك عنه فيه، ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك من عبادة الأوثان والأصنام، فإنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾» (البقرة: 163)، يقول: لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلا الله الذي هو فائق الحب والنوى، وفائق الإصباح، وجاعل الليل سكناً، والشمس والقمر حسبانا. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 106) يقول: ودع عنك جداهم وخصومتهم. ثم نسخ ذلك جل ثناؤه بقوله في براءة: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾...

على مقابلتها، أعني البعيدة، كقوله تعالى: سراييل تقيكم الحر، ولزيادة النعمة فيها»⁽¹⁵⁰⁾.

وفي نهاية الدراسة يتضح كيف جاء هذا الجزء من الآية معترضاً للتعجب، كيف أن الله تعالى ينبت القنوان الممتلئة بالثمر من هذا الطلع الصغير الحجم الخفيف في الوزن، وتدلّ منه العذوق الثقيلة فسبحان الله العظيم، ف«الجملة معترضة سيقّت للمنة؛ لأنه من أعظم أقوات العرب، ولأنه جامع بين اللذة والقوت»⁽¹⁵¹⁾.

قال ابن عادل: «قوله: «وجنات» الجمهور على كسر التاء من «جنات»؛ لأنها منصوبة نسقا على «نبات» أي: فأخرجنا بالماء النبات وجنات، وهو من عطف الخاص على العام تشريفاً لهذين الجنسين على غيرهما كقوله تعالى: ﴿وَمَلَكْنَاهُ وَرُسُلَهُ وَجَبْرِيْلَ وَمِيكَائِلَ﴾ (البقرة: 98)، وعلى هذا فقوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِمَّنْ طَلَعَهَا فَيَنْوَأْنَ﴾: جملة معترضة، وإنما جيء بهذه الجملة معترضة وأبرزت في صورة المبتدأ والخبر تعظيماً للمنة به؛ لأنه من أعظم قوت العرب، ولأنه جامع بين التفكه والقوت»⁽¹⁵²⁾.

المطلب السابع: التقرير.

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن

(150) محاسن التأويل (4/ 445).

(151) إعراب القرآن وبيانه (3/ 184).

(152) اللباب في علوم الكتاب (8/ 324).

(153) التحرير والتنوير (7/ 425).

الآية (التوبة: 5))⁽¹⁵⁴⁾.

ب- الدراسة البيانية:

- في الغرض البياني من موقع جملة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾:

جملة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أتت بعد الأمر باتباع الوحي، فوقعت موقع المؤكد لهذا الأمر، قال الزمخشري: «﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراض أكد به إيجاب اتباع الوحي، لا محل له من الإعراب، ويجوز أن يكون حالاً من (ربك)، وهي حال مؤكدة، كقوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾»⁽¹⁵⁵⁾.

- ومن لطائف الآية:

أن «في قوله: ﴿أَتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾» (الأنعام: 106): تعزية لقلب النبي ﷺ وإزالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم: ﴿دَرَسْتَ﴾، ونبه بقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أنه ﷻ واحد فرد صمد لا شريك له، وإذا كان كذلك فإنه تجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيف الزائغين»⁽¹⁵⁶⁾.

وفي نهاية الدراسة اتضح أن قول ابن عاشور ينص على أن الجملة المعترضة هنا لإدماج التذكير بالوحدانية لزيادة تقررها وإغاظه المشركين، ورأينا كيف أن غير واحد من المفسرين، ذكر أنها جملة مؤكدة لإيجاب

(154) جامع البيان (9/479)، وانظر: المحرر الوجيز (2/332).

(155) الكشف (2/55)، وانظر: مدارك التنزيل (1/528)، والبحر

المحيط (4/610)، ومحاسن التأويل (4/461).

(156) لباب التأويل (2/145).

اتباع الوحي، أو حال مؤكدة، ولا تنافي بين الرأيين والسياق يحتملها جميعاً، والله أعلم.

المطلب الثامن: تسليية النبي ﷺ.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ جَاهِلُونَ﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: 111-112).

أولاً: موضع الاعتراض ومقصده.

الجملة المعترضة هنا هي الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: 112)، وفائدته: تسليية النبي ﷺ.

قال ابن عاشور: «اعتراض قصد منه تسليية الرسول ﷺ، والواو: واو الاعتراض؛ لأن الجملة بمنزلة الفذلكة، وتكون للرسول ﷺ تسليية بعد ذكر ما يحزنه من أحوال كفار قومه، وتصلبهم في نبذ دعوته، فأنبأه الله: بأن هؤلاء أعداؤه، وأن عداوة أمثالهم سنة من سنن الله تعالى في ابتلاء أنبيائه كلهم، فما منهم أحد إلا كان له أعداء، فلم تكن عداوة هؤلاء للنبي - عليه الصلاة والسلام - بدعا من شأن الرسل، فمعنى الكلام: ألسنت نبياً وقد جعلنا لكل نبي عداواً - إلى

آخره»⁽¹⁵⁷⁾.

أولو العزم من الرسل»⁽¹⁵⁸⁾.

ثانياً: دراسة موضع الاعتراض:

2- المراد بالعدو هنا الجمع لا المفرد، قال

الواحدي⁽¹⁵⁹⁾: «والعدو هاهنا يجوز أن يكون في معنى

الجماعة، كما قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ (الشعراء: 77) قال مقاتل:

يقول لا يكبرن عليك فإن الأنبياء قبلك قد لقيت هذا

التكذيب من قومهم»⁽¹⁶⁰⁾.

وقال: «ويجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿عَدُوًّا﴾

واحداً من المجرمين، ممن كان أشد المشركين»⁽¹⁶¹⁾.

3- وقوله شياطين الإنس والجن بدل من عدوا

أي «لهم أعداء من شياطين الإنس والجن، والشيطان كل

من خرج عن نظيره بالشر، ولا يعادي الرسل إلا

الشياطين من هؤلاء وهؤلاء، قبحهم الله ولعنهم»⁽¹⁶²⁾.

(158) جامع البيان (9/ 497)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (3/ 285).

(159) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مثنوي الإمام أبو الحسن الواحدي النيسابوري، كان أوجد عصره في التفسير، لازم أبا إسحاق الثعلبي، وأخذ العربية عن أبي الحسن القهндزيّ الضرير، ودأب في العلوم وأخذ اللغة عن أبي الفضل أحمد بن محمد بن يوسف العروضي، صنف التفاسير الثلاثة البسيط، والوسيط والوجيز، وأسباب النزول والمغازي والإغراب في الإعراب، توفي بنيسابور سنة 468 للهجرة، انظر: طبقات المفسرين، للداوودي (1/ 395).

(160) البسيط (16/ 486).

(161) المصدر السابق، وانظر: تفسير القرآن العظيم، للسمعاني (2/ 137).

(162) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (3/ 285).

1- صرح الله تبارك وتعالى في هذه الآية بأن هذا

هو ديدن الأنبياء من الابتلاء في كثيرة الأعداء من

حولهم، مما يضيفي على قلب محمد ﷺ السكينة والتسلية

والاعتبار بمن سبقه من الأنبياء.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ،

مسليه بذلك عما لقي من كفره قومه في ذات الله، وحاثا

له على الصبر على ما نال فيه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

عَدُوًّا﴾ (الأنعام: 112)، يقول: وكما ابتليناك يا محمد بأن

جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين ﴿يُوحِي

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ (الأنعام: 112)،

ليصدوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان

بك وبما جئتهم به من عند ربك، كذلك ابتلينا من قبلك

من الأنبياء والرسل، بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم

يؤذونهم بالجدال والخصومات، يقول: فهذا الذي

امتحتنتك به لم تخصص به من بينهم وحدك، بل قد

عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم مع قدرتي على

منع من آذاهم من إيذاهم، فلم أفعل ذلك إلا لأعرف

أولي العزم منهم من غيرهم، يقول: فاصبر أنت كما صبر

(157) التحرير والتنوير (8/ 8).

ب- الدراسة البيانية:

1- في انسياق قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ قولان:

ذكرهما الرازي فقال: «الأول: أنه منسوق على قوله: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَلَّمَهُمْ﴾ (الأنعام 108) أي: كما فعلنا ذلك، كذلك جعلنا لكل نبي عدوا.

والثاني: معناه جعلنا لك عدوا، كما جعلنا لمن قبلك من الأنبياء، فيكون قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ عطفا على معنى ما تقدم من الكلام؛ لأن ما تقدم يدل على أنه تعالى جعل له أعداء»⁽¹⁶⁶⁾.

2- في دخول حرف التخصيص في قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾:

قال الواحدي: «وقال السدي: لم يبعث نبي قط إلا والمجرمون له أعداء، وبعضهم أشد عليه من بعض، وكان عدو النبي ﷺ من قريش بنو أمية وبنو المغيرة، ولهذا دخل حرف التخصيص في قوله: ﴿مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، قال الكلبي: إن كل نبي أتى قومه كان بعضهم أغلظ من بعض وأسوأ قولاً، وصنيعاً، وبعضهم يستحي من ذلك وهو ألين قولاً، وأكف شراً»⁽¹⁶⁷⁾.

3- في تقديم الفعل: (جعلنا) وتأخير: (عدواً) فائدة القصر والمبالغة في ذلك الجعل:

قال أبو السعود: «والتقديم على الفعل المذكور:

(166) مفاتيح الغيب (13/ 119).

(167) البسيط (16/ 486).

وقال السمعاني⁽¹⁶³⁾: «والشيطان كل عاتٍ متمرد، سَوَاءَ كَانَ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ مِنَ الْجِنِّ».

وحكى عن مالك بن دينار⁽¹⁶⁴⁾ أنه قال: «خوفي من شَيْطَانِ الْإِنْسِ أكبر من خوفي من شَيْطَانِ الْجِنِّ؛ لِأَنَّ الْجَنِّيَّ يَذْهَبُ إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ، (والإنسي) يجبرني إِلَى الْمُعَاصِي».

﴿يُوجِبِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي: يلقي بعضهم إلى بعض.

﴿زُحِرْفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ زخرف القول: هُوَ قَوْلٌ مَزِينٌ لَا مَعْنَى تَحْتَهُ، والغرور: القولُ الْبَاطِلُ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: مَا أَلَقْتُ الشَّيَاطِينَ الْوَسْوَسةَ فِي الْقُلُوبِ. ﴿فَذَرَّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾»⁽¹⁶⁵⁾.

(163) هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله أبو المظفر السمعاني التميمي المروزي، الحنفي، ثم الشافعي، تفقه على والده حتى برع في فقه أبي حنيفة، وصار من فحول النظر، ومكث كذلك ثلاثين سنة، ثم صار إلى مذهب الشافعي، من مصنفاته: التفسير، والقواعد في أصول الفقه، والانتصار في الرد على المخالفين، توفي بمرور سنة 489 هـ، انظر: طبقات المفسرين، للدواودي (2/ 340).

(164) هو: مالك بن دينار مولى لبني، ناجية بن سامية بن لؤي بن غالب القرشي أبو يحيى من زهاد التابعين وصغارهم وعبادهم ممن يصبر على الفقر الشديد والورع الجهد، وكان يأكل من كد يده من الوراقة مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، انظر: مشاهير علماء الأمصار (147).

(165) تفسير القرآن العظيم، للسمعاني (2/ 137).

أحوال المشركين، فأقبل على خطاب المؤمنين بهذه المنة وهذا الحكم، فهذه الجمل معترضة، وهي تعريض بتسفيه أحلام المشركين لتحريمهم على أنفسهم ما من الله به عليهم.

وأول ما يتبادر للناس حين ذكر الأنعام أن يتذكروا أنهم يأكلون منها، فحصل إيجاز في الكلام ولذلك عقب بقوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾⁽¹⁷⁰⁾.

ثانياً: دراسة موضع الاعتراض:

أ- الدراسة التفسيرية.

1- في المعنى العام للآية: ﴿وَمِنَ الْآتَعَمِ حُمُولَةً وَفَرَشًا﴾ أي: وأنشأ لكم من الأنعام ما يحمل الأثقال، وما يفرش للذبح (أي: يضجع) أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش.

وعن ابن عباس: الحمولة الكبار التي تصلح للحمل، والفرش الصغير كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض، للطافة أجرامها، مثل الفرش المفروش عليها... إنه لكم عدو مبين أي: ظاهر العداوة، يمنعكم مما يحفظ روحكم، ويزيد قوتكم، ويدعوكم إلى الافتراء على الله إن نسبتموه إلى أمره، أو إلى دعوى الإلهية لكم إن استقللتم به⁽¹⁷¹⁾.

2- وقال ابن عطية في ربط معنى الآية بالتعريض

للقصر المفيد للمبالغة، أي مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك، حيث جعلنا لك عدوا، يضادونك ويضارونك ولا يؤمنون ويغنونك الغوائل ويدبرون في إبطال أمرك مكاييد، جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك أعداؤك، لا جعلنا أنقص منه، وفيه دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء ﷺ بخلقهم تعالى للابتلاء⁽¹⁶⁸⁾.

وفي نهاية الدراسة تبين كيف وافق تصريحاً كثير من المفسرين⁽¹⁶⁹⁾ ابن عاشور في اعتراضية الجملة بقصد التسلية للنبي ﷺ، وقد تبين في الدراسة ذلك بجلاء.

المطلب التاسع: التعريض.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْآتَعَمِ حُمُولَةً وَفَرَشًا﴾ كَلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ⁽¹⁴²⁾.

أولاً: موضع الاعتراض ومقصده.

الجملة المعترضة هنا هي قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، وفائدتها: التعريض بالمشركين وتسفيه أحلامهم عندما حرموا على أنفسهم ما أحله الله لهم.

قال ابن عاشور: «غير أسلوب الحكاية عن

(168) إرشاد العقل السليم (3/175).

(169) انظر: البسيط (8/369)، ومعالم التنزيل (3/179)، والتسهيل لعلوم التنزيل (1/273)، والبحر المحيط (4/623)، وإرشاد العقل السليم (3/175)، ومقاصد البيان (9/305).

(170) التحرير والتنوير (8/119).

(171) محاسن التأويل (4/509).

أي لا تحرموا ما أحل لكم منها اتباعا لتغيير الشيطان بالسوسة لزعماء المشركين الذين سنوا لهم تلك السنن الباطلة، وليس المراد بالأمر بالإباحة فقط⁽¹⁷³⁾.

2- (من) في قوله تعالى: ﴿مِمَّا﴾:

هي للتبعيض، ودلالة ذلك من عدة وجوه:

1- للدلالة على الأكل من البعض، والتصدق

بالبعض الآخر، وعدم الإسراف.

2- للدلالة على أن الله تعالى تكفل بهذا الرزق.

قال الرازي: «لم يقل تعالى: «كلوا ما رزقكم»،

ولكن قال: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، وكلمة (من)

للتبعيض، فكأنه قال: اقتصروا في الأكل على البعض،

واصرفوا البقية إلى الصدقات والخيرات؛ لأنه إرشاد إلى

ترك الإسراف كما قال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأنعام: 141)

(الأعراف: 31)»⁽¹⁷⁴⁾.

وقال الرازي كذلك: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾:

يدل على أنه تعالى قد تكفل برزق كل أحد، فإنه لو لم

يتكفل برزقه لما قال: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، وإذا

تكفل الله برزقه وجب أن لا يبالغ في الطلب، وأن يعول

على وعد الله تعالى وإحسانه، فإنه أكرم من أن يخلف

الوعد⁽¹⁷⁵⁾.

(173) التحرير والتنوير (8/126)، وانظر: روح البيان (3/112).

(174) مفاتيح الغيب (12/418).

(175) المصدر السابق.

بالمشركين: «وقوله: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ نص إباحة وإزالة ما سنه الكفار من البحيرة والسائبة وغير ذلك، ثم تابع النهي عن تلك السنن الآفكة بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾، وهي جمع خطوة، أي: لا تمشوا في طرقه المضلّة⁽¹⁷²⁾.

ب- الدراسة البيانية.

1- في مناسبة الأمر بالأكل بعد ذكر الأنعام:

وذلك لعدة مقاصد، منها:

1- لأنه المقصود من السياق.

2- لأن فيه إبطالا لتحريم ما حرموه على

أنفسهم.

3- لأن فيه تمهيدا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ

الشَّيْطَانِ﴾؛ لأن الأمر بالأكل هنا مستعمل في النهي عن

ضده.

قال ابن عاشور: «ومناسبة الأمر بالأكل بعد ذكر

الأنعام: أنه لما كان قوله: ﴿وَفَرَّشًا﴾ شيئا ملائما للذبح،

كما تقدم، عقب بالإذن بأكل ما يصلح للأكل منها،

واقصر على الأمر بالأكل؛ لأنه المقصود من السياق

إبطالا لتحريم ما حرموه على أنفسهم، وتمهيدا لقوله:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾؛ فالأمر بالأكل هنا

مستعمل في النهي عن ضده وهو عدم الأكل من بعضها،

(172) المحرر الوجيز (2/354)، وانظر: جامع البيان (9/623)،

ومدارك التنزيل (1/543)، ولباب التأويل (2/165).

وقال ابن عادل: «وقال: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ولم يقل: ما رزقكم؛ لأن «من» للتبعض، فكأنه قال: اقتصروا في الأكل على البعض واصرخوا البقية إلى الصدقات والخيرات، وأيضاً إرشاد إلى ترك الإسراف، كقوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: 31)»⁽¹⁷⁶⁾.

3- في العدول عن الضمير إلى الاسم الموصول:

قال ابن عاشور: «وعدل عن الضمير بأن يقول: كلوا منها: إلى الإتيان بالموصول: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، لما في صلة الموصول من الإيحاء إلى تضليل الذين حرموا على أنفسهم، أو على بعضهم، الأكل من بعضها، فعطلوا على أنفسهم بعضاً مما رزقهم الله»⁽¹⁷⁷⁾.

وفي نهاية الدراسة يتضح توافق كلام الطاهر ابن عاشور من اعتراضية هذه الجزئية من الآية، مع أقوال جملة من المفسرين تصريحاً بذلك.

المطلب العاشر: التعليل.

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: 151).

أولاً: موضع الاعتراض ومقصده:

الجملة المعترضة هي قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وفائدتها: تعليل النهي عن قتل الأولاد من إملاق.

قال ابن عاشور: «وجملة: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ معترضة، مستأنفة، علة للنهي عن قتلهم، إبطالا لمعذرتهم؛ لأن الفقر قد جعلوه عذرا لقتل الأولاد، ومع كون الفقر لا يصلح أن يكون داعياً لقتل النفس، فقد بين الله أنه لما خلق الأولاد فقد قدر رزقهم، فمن الحماقة أن يظن الأب أن عجزه عن رزقهم يخوله قتلهم، وكان الأجدر به أن يكتسب لهم»⁽¹⁷⁸⁾.

ثانياً: دراسة موضع الاعتراض:

أ- الدراسة التفسيرية:

1- مناسبتها لما قبلها:

قال ابن كثير: «لما أوصى تعالى بالوالدين والأجداد، عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾»⁽¹⁷⁹⁾.

2- معنى: ﴿إِمْلَاقٍ﴾:

قال الطبري: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا

(178) التحرير والتنوير (8/ 159).

(179) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (3/ 325)، وانظر: مفاتيح

الغيب (13/ 178)، والبحر المحيط (4/ 687).

(176) الباب في علوم الكتاب (7/ 492)، وانظر: إرشاد العقل

السليم (3/ 192).

(177) التحرير والتنوير (8/ 126-127).

الأولاد على الوالدين، وهو أن لا يقتلوه من أجل إملاق. والإملاق: الفقر، فقد كانت الجاهلية تفعل ذلك بالذكر والإناث خشية الإملاق، وتفعله بالإناث خاصة خشية العار⁽¹⁸²⁾.

وقال البغوي: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ﴾ فقر، ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ أي: لا تتدوا بناتكم خشية العيلة، فإني رازقكم وإياهم⁽¹⁸³⁾.

ب- الدراسة البيانية:

1- (مِنْ) في قوله: ﴿مِمَّنْ إِمْلَقَ﴾:

مِنْ هنا سببية، بدليل قوله تعالى في نظيرة هذه الآية في سورة (الإسراء: 31): ﴿حَشِيَّةَ إِمْلَقٍ﴾⁽¹⁸⁴⁾.

2- اختلاف الأسلوب بين آية الأنعام، ونظيرتها من آية الإسراء:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾. وقال في الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ إِمْلَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

قال أبو حيان: «وجاء التركيب هنا ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وفي الإسراء ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، فيمكن أن يكون ذلك من التفنن في الكلام، ويمكن أن

تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: 151) يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ﴾ (الأنعام: 151): ولا تتدوا أولادكم فتقتلوه من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم، فإن الله هو رازقكم وإياهم، ليس عليكم رزقهم، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم، والإملاق: مصدر من قول القائل: أملقت من الزاد، فأنا أملق إملاقا، وذلك إذا فني زاده وذهب ماله وأفلس⁽¹⁸⁰⁾.

3- المراد بقتل الأولاد في الآية:

هو النهي عن الوأد، ولكن من المفسرين من خصه بوأد البنات، ومنهم من شمله بوأد الذكور والإناث وهو ظاهر اللفظ.

قال ابن كثير: «وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يئدون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار»⁽¹⁸¹⁾. وقال الشوكاني: «قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ﴾ لما ذكر حق الوالدين على الأولاد، ذكر حق

(180) جامع البيان (9/657)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، للسماعاني (2/156)، والمحرم الوجيز (2/362)، ولباب التأويل (2/171)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (3/325)، وروح البيان (3/118)، وفتح القدير (2/201).

(181) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (3/325).

(182) فتح القدير (2/201).

(183) معالم التنزيل (3/203)، وانظر: لباب التأويل (2/171).

(184) انظر: البحر المحيط (4/687).

﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^ط استئناف مسوق لتعليل النهي وإبطال سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لأرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لا أنتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق»⁽¹⁸⁶⁾.

وعلة النهي على وجهين، قال ابن عاشور: «وكونه علة لقتل الأولاد يقع على وجهين: أن يكون حاصلا بالفعل، وهو المراد هنا، وهو الذي تقتضيه (من) التعليلية، وأن يكون متوقع الحصول كما قال تعالى، في آية سورة (الإسراء: 31): ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾؛ لأنهم كانوا يثدنون بناتهم إما للعجز عن القيام بهن وإما لتوقع ذلك»⁽¹⁸⁷⁾.

ومن لطائف الآية أنها «دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده لأنه نهى عن قتل الأولاد، كما أوصى الآباء بالأولاد في الميراث. وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات دائما، ويقتلون البنات أحيانا بوأدهن أحياء في التراب لعجزهن عن الكسب، وقدرة البنين عليه بالغارة والنهب والسلب، وأيضا كانوا يخافون من أن فقر البنات ينفر الأكفء عن الرغبة فيهن، فيحتاجون إلى تزويجهن من غير الأكفء»⁽¹⁸⁸⁾.

يقال في هذه الآية جاء من إملاق فظاهره حصول الإملاق للوالد لا توقعه، وخشيته وإن كان واجدا للمال فبدأ أولاً بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ خطابا للآباء وتبشيرا لهم بزوال الإملاق وإحالة الرزق على الخلاق الرزاق، ثم عطف عليهم الأولاد.

وأما في الإسراء فظاهر التركيب أنهم موسرون، وأن قتلهم إياهم إنما هو لتوقع حصول الإملاق والخشية منه، فبدئ فيه بقوله: نحن نرزقهم إخبارا بتكفله تعالى برزقهم فلستم أنتم رازقيهم وعطف عليهم الآباء.

وصارت الآيتان مفيدتين معنيين: أحدهما: أن الآباء نهوا عن قتل الأولاد مع وجود إملاقهم، والآخر: أنهم نهوا عن قتلهم وإن كانوا موسرين لتوقع الإملاق وخشيته وحمل الآيتين على ما يفيد معنيين أولى من التأكيد»⁽¹⁸⁵⁾.

وفي نهاية الدراسة نلاحظ أن وقوع هذه الجملة المعترضة موقع التعليل للنهي عن قتل الأولاد واضح ظاهر، وتساندها نظيرتها في سورة الإسراء، وصرح به غير واحد من المفسرين.

قال أبو السعود: «قوله تعالى: ﴿خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ وقيل هذا في الفقر الناجز وذاك في المتوقع وقوله تعالى:

(186) إرشاد العقل السليم (3/ 198)، وانظر: روح البيان (3/ 118)،

وفتح البيان (4/ 274).

(187) التحرير والتنوير (8/ 158).

(188) التفسير المنير (15/ 69).

(185) انظر: البحر المحيط (4/ 687)، والدر المصون (5/ 219)،

وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (3/ 325)، وفتح البيان

(4/ 274)، وتفسير المراغي (8/ 67)، والتفسير المنير (15/ 96).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أ- أهم النتائج:

1- من أكثر مواضع ورود الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم هو في سورة الأنعام، ومن أكثر المفسرين إبرازاً لمقاصد ورودها هو الطاهر ابن عاشور رحمته الله، وذلك نتيجة الاستقراءين المثبتين في مقدمة البحث.

2- أسفر البحث عن ماهية الاعتراض عند النحاة، وماهيته عند البلاغيين، والفروق بينهما.

3- تجلّى عن الدراسة كيف أن الاعتراض البياني ينبئ في ثنياه عن مقاصد عديدة ومنها - بحسب هذه الدراسة - في سورة الأنعام: الإعلام، والترغيب، والترهيب، والامتنان، والتعجب، والتعليل، والتذليل والتقريب، وغيرها.

ب- أهم التوصيات:

1- أوصي بالدراسة والبحث لتعقب مقاصد الاعتراض في سور القرآن الكريم، والوقوف على هذه المقاصد، وأثرها في التفسير، وذلك في ظل الدراسات الأسلوبية القرآنية خاصة التفسيرية منها.

2- تكثيف الدراسات والمشاريع البحثية في سبر أغوار تفاسير المفسرين البلاغيين، واستخراج مكنونها، من درر أساليب القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن محمد بن مصطفى، د.ط، بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

أسد الغابة في معرفة الصحابة. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، 1415هـ.

الاعتراض في القرآن، مواقع ودلالاته في التفسير. مبارك، عبد الله عبده مبارك، رسالة ماجستير، بإشراف: د. عبد الودود مقبول حنيف، مكة المكرمة - السعودية: جامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة، 1428هـ.

إعراب القرآن وبيانه. درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، ط4، حمص، سورية: دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق: دار اليمامة، دمشق، وبيروت: دار ابن كثير، 1415هـ.

الأعلام. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، ط15، بيروت - لبنان: دار العلم للملايين، 2002م.

بحر العلوم. السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، تحقيق: محمود مطرجي، د.ط، بيروت - لبنان: دار الفكر، د.ت.

البحر المحيط. أبو حيان، حمد بن يوسف، ط1، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، 1422هـ.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، د.ط، بيروت - لبنان: دار المعرفة، د.ت.

البرهان في علوم القرآن. الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر،

إيمان بنت عبد الله العمودي: مقاصد الاعتراض البياني في سورة الأنعام عند ابن عاشور «جمع ودراسة»

- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، بيروت - لبنان: دار إحياء الكتب العربية، 1376 هـ.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. الصعدي، عبد المتعال، ط17، القاهرة - مصر: مكتبة الآداب، 1426 هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت - لبنان: دار الكتاب العربي، 1407 هـ.
- تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، بيروت - لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1422 هـ.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. ابن عاشور، محمد الطاهر، د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 هـ.
- التفسير البسيط. الواحدي، علي بن أحمد بن محمد بن علي، ط1، الرياض - المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430 هـ.
- تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، د.ط، بيروت - لبنان: دار المعرفة، 1412 هـ.
- تفسير القرآن. السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، د.ط، الرياض: دار الوطن، 1418 هـ.
- تفسير المراغي. المراغي، أحمد مصطفى، د.ط، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، د.ت.
- تفسير المنار. علي رضا، محمد رشيد بن، د.ط، القاهرة - مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ط2، دمشق - سوريا: دار الفكر المعاصر، 1418 هـ.
- تفسير روح البيان. الخلوئي، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي، د.ط، بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- تهذيب اللغة. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001 م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري، حمد بن جبر، تحقيق: د. عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، ط1، القاهرة - مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422 هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري). البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، بيروت - لبنان: دار طوق النجاة، 1422 هـ.
- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، تحقيق: سمير البخاري، د.ط، الرياض - السعودية: دار عالم الكتب، 1423 هـ.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ.
- الخصائص. الموصلي، أبو الفتح عثمان بن جني، ط4، القاهرة - مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

- الدر المصون. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، تحقيق: أحمد محمد الخراط، د.ط، دمشق - سوريا: دار القلم، د.ت.
- سير أعلام النبلاء. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قناي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة، 1405هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. العكري، عبد الحي بن أحمد الدمشقي، د.ط، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. ابن زكريا، أحمد بن فارس القزويني، ط1، د.م: د.ن، 1418هـ.
- طبقات المفسرين للداوودي. الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، د.ط، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت.
- طبقات المفسرين. الأدنه وي، أحمد بن محمد، سليمان بن صالح الخزي، ط1، المدينة النبوية - السعودية: مكتبة العلوم والحكم، 1417هـ.
- طبقات المفسرين. جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: علي محمد عمر، ط1، القاهرة - مصر: مكتبة وهبة، 1396هـ.
- فتح البيان في مقاصد القرآن. القنوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، عناية: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، د.ط، بيروت - لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، د.ط، بيروت - لبنان: دار الفكر، د.ت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط3، بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي، 1407هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط1، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، 1415هـ.
- اللباب في علوم الكتاب. ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط1، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، 1419هـ.
- لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم، ط1، بيروت - لبنان: دار صادر، د.ت.
- محاسن التأويل. القاسمي، محمد جمال الدين، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، 1418هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، 1413هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، تحقيق وتخرير: يوسف علي بدوي، ط1، بيروت - لبنان: دار الكلم الطيب، 1419هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. مسلم، ابن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن. البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

إيمان بنت عبد الله العمودي: مقاصد الاعتراض البياني في سورة الأنعام عند ابن عاشور «جمع ودراسة»

المعجم الكبير. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير
اللمخي الشامي، تحقيق: حمدي السلفي، ط2، القاهرة -
مصر: مكتبة ابن تيمية، د.ت.

معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر».
نويض، عادل، ط3، بيروت - لبنان: مؤسسة نويض
الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1409 هـ.
معجم المؤلفين. كحالة، عمر رضا، ط1، بيروت - لبنان: مؤسسة
الرسالة، 1414 هـ.

مفاتيح الغيب. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، ط1،
بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، 1421 هـ.
مقاييس اللغة. ابن زكريا، أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق:
عبد السلام محمد هارون، دمشق - سوريا: دار الفكر،
1399 هـ

النكت والعيون (تفسير الماوردي). الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد
بن حبيب، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم،
د.ط، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت.
هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. البغدادي، إسماعيل
بن محمد أمين بن مير سليم الباباني، د.ط، بيروت - لبنان:
دار إحياء التراث العربي، د.ت.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. جلال الدين السيوطي،
عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: عبد الحميد هندراوي،
د.ط، مصر: المكتبة التوفيقية، د.ت.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن
إبراهيم بن أبي بكر، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت
- لبنان: دار صادر، 1971 م.
